تاريخ اليابان

ليست الغاية هنا عرض دراسة مفصلة عن التاريخ الياباني، فليس هذا غرضنا في هذا الكتاب، وإنما المقصود هو تقديم عرض موجز للتاريخ الياباني نحاول أن نفهم من خلاله العوامل الداخلية والخارجية التي أدّت دوراً في بناء الفرد والمجتمع في اليابان. ومن أراد الاستزادة من المعلومات التاريخية فعليه الرجوع إلى المصادر المعتمدة، وهي كثيرة جدّاً، ذكرنا بعضها في المراجع، ولقد تم تقسيم الفصل إلى ثلاثة أقسام: يتناول الأول تاريخ اليابان القديم إلى نهاية عصر الإقطاع، والقسم الثاني تم تخصيصه لتاريخ اليابان الحديث منذ بداية إصلاحات (ميجي) إلى الحرب العالمية الثانية، أما القسم الثالث والأخير فقد تم تخصيصه لحقبة الحرب العالمية الثانية ووصف الدمار الكبير الذي لحق باليابان من جرائها.

القسم الأول: تاريخ اليابان القديم

وينقسم هذا القسم إلى ثلاث مراحل: أولها يتناول عصور ما قبل التاريخ، والثانية حقبة التاريخ القديم إلى بداية عصر الإقطاع، والثالثة تتناول الحقبة الزمنية الممتدة من حكم الإقطاع إلى بداية إصلاحات (ميجي).

1.4. عصور ما قبل التاريخ

1- عصور جومون: وهي الحقبة التي تمتد من آلاف السنين قبل الميلاد إلى عام 300 ق.م. وامتازت هذه الحقبة بأن سكان الأرخبيل الياباني كانوا مجرد صيادي أسماك وحيوانات برية. والمكتشفات الأثرية من تلك الحقبة عبارة عن فخاريات وأدوات صيد، أما الملابس فهي مكونه من جلود الحيوانات.

2- عصور (يايوئي): وهي الحقبة التي تمتد من 300 ق. م. إلى 250 ميلادي، وسميت على اسم الموقع الأثري الذي اكتشفت فيه أهم آثار تلك الحقبة، وهو موقع (يايوئي) قرب مدينة طوكيو العاصمة الحالية. وأهم ما امتازت به تلك الحقبة عن سابقتها ما يأتي:

- بداية تعلم حياكة الملابس.
- دخول الزراعة، وخصوصاً زراعة الرز.

- بداية استخدام الأواني والأدوات البرونزية، والحديدية، وتعلم صناعتها التي ربما جاءت إلى اليابان من الصين أو كوريا أو كليهما.

وأول ذكر ورد لليابان في الوثائق الصينية يعود إلى هذه الحقبة، حيث وصف مؤرخو حقبة (هان) عام 57 ميلادي اليابان بأنها:

«على الجهة الأخرى من المحيط وفي مقابل (ليو يانغ) هناك شعوب (وا) تتكون من أكثر من مئة قبيلة». وهذا الاسم (وا) هو من الأسماء القديمة التي كانت تطلق على اليابانيين في المدونات القديمة.

2.4. التاريخ القديم:

نعني بالتاريخ القديم المراحل الزمنية التي امتدت من بداية الكتابة والتدوين في القرن الثالث وحتى عام 1185م وبداية عهد الإقطاع. حيث مرّت اليابان في تاريخها القديم ومن حيث تطور نظامها السياسي بثلاث مراحل مهمة:

1- مرحلة (كوفن): تمتد هذه الحقبة من القرن الثالث الميلادي وحتى القرن السابع، وترجع التسمية إلى طريقة دفن الموتى في المقابر التي هي عبارة عن تلال. وامتازت هذه المرحلة التاريخية بقيام حكومات عسكرية قوية نشأت لتعكس قوة العشائر ونفوذها

في أماكن وجودها وخصوصاً في منطقة سهل (ياموتو) وهي المنطقة التي تقع حول مدينة (نارا) التي أصبحت فيما بعد عاصمة اليابان. وكان تشكيل الحكومات مشابهاً لما هو موجود في الصين.

ولقد امتازت هذه المرحلة بقوة العلاقات والروابط في جوانبها المختلفة، كالسياسي أو الثقافي والاقتصادي بين اليابان من جهة والصين وكوريا من جهة أخرى، حيث شهدت نهاية القرن الرابع الميلادي بداية علاقات قوية بين اليابان والممالك الكورية الثلاث. ولعل من أهم الإنجازات في هذه المرحلة دخول الديانة البوذية التي قدمت إلى اليابان عن طريق كوريا كما أسلفنا وبداية استخدام الرموز الصينية (كانجي) في الكتابة مع ما مثلته هذه الخطوات من زيادة في قوة الترابط بين اليابان والصين وكوريا.

2- مرحلة نارا: امتدت هذه المرحلة، التي أخذت تسميتها من مدينة نارا التي كانت العاصمة السياسية والفكرية لليابان، معظم القرن الثامن الميلادي. وأهم ما امتازت به هذه الحقبة تأسيس النظام الإمبراطوري، وذلك على شاكلة النظام السياسي في الصين. ومع ظهور النظام الإمبراطوري ومحاولة السلطة السياسية بسط نفوذها نشأت بوادر صراع شديد بين المؤسستين: السياسية التي يقف على رأسها الإمبراطور والدينية التي يقودها الكهنة البوذيون.

3- مرحلة هييان: أو مرحلة السلام والاستقرار التي امتدت من أواخر القرن الثامن وحتى عام 1185 ميلادي. امتازت هذه الحقبة باستقرار الوضع السياسي وتمركز السلطات بيد الإمبراطور، ذلك أن المؤسسة السياسية استطاعت بعد التحالف مع العائلات الأرستقراطية ذات النفوذ في المجتمع مثل عائلة (فوجيوارا) أن تحسم الصراع مع المؤسسة الدينية لمصلحتها. وللتخلص أو لتقليل نفوذ المؤسسة الدينية والرهبان البوذيين المتمركزين في أهم المعابد البوذية في (نارا) ومنها معبد (تودايجي) الشهير تمّ نقل العاصمة من مدينة نارا إلى مدينة (كيوتو) القريبة منها. ونتيجة من نتائج ذلك الصراع مع المؤسسة الدينية، ولكون البوذية فكراً مستوردا من الصين وكوريا، نشأت حركة قوية تدعو إلى الاهتمام بالثقافة اليابانية والفن الياباني ونبذ الثقافات والفنون المستوردة من الصين وكوريا. فنشط الفن الياباني، وظهرت نتيجة ذلك كثير من الرموز الكتابية في (الكانجي) التي ليس لها أصل صيني، وكذلك استخدام الألفاظ اليابانية لرموز (الكانجي) بدل الألفاظ الصينية.

3.4. عصر الإقطاع

شهد القرن الثاني عشر الميلادي بروز القوة العسكرية لكثير من العوائل الأرستقراطية اليابانية، مع بدايات التنافس على النفوذ

بين هذه العوائل الذي أخذ الطابع المسلح، وأدخل اليابان في حروب أهلية دموية لم تنتهِ إلا بتقاسم العوائل النفوذ وتقسيم اليابان إلى إقطاعيات شبه مستقلة تخضع لسلطة العائلة الإقطاعية (داميو) التي تحظى بتأييد قادة المليشيات العسكرية المحلية التي يطلق عليها تسمية (شوغان) وأصبح بذلك دور الإمبراطور دوراً رمزيّاً، وأنشئت الحدود بين الإقطاعيات، ووضعت نقاط التفتيش بين المقاطعات المختلفة لضبط حركة التنقل بين المقاطعات. وامتدت هذه الحقبة من القرن الثالث عشر إلى أن انتهت بظهور اليابان الحديثة بعد إصلاحات (ميجي) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

وينقسم عصر الإقطاع في اليابان إلى حقب عدة مميزة، أهمها:

1- **حقبة كاماكورا**: تمتد هذه الحقبة من عام 1185 إلى 1333 ميلادي، حيث امتازت بسيطرة إقطاعية (كاماكورا) التي كان الحكم فيها خاضعاً لسيطرة طبقة العسكر أو (الساموراي). ومن أهم الأحداث التي مرّت بها اليابان في هذه الحقبة محاولة المغول غزو اليابان؛ لأن غزو المغول لكوريا والصين وسيطرتهم عليهما جعل من غزو اليابان مسألة وقت. ولذلك، فعام 1274 أعد المغول قوة كبيرة استخدمت السفن البحرية الكورية،

واستطاعت أن تحتل كثيراً من الجزر حتى وصلت إلى ميناء (هاكاتا) في جزيرة (كيوشو) الذي احتلته دون مقاومة تذكر. لكن المغول أعادوا النظر في حساباتهم، فقرروا العودة إلى كوريا لكون القوة الغازية لا تستطيع الصمود مدة طويلة من دون إمدادات، فغادروا المناطق التي احتلوها على أمل أن يعودوا ثانية وبقوة أكبر تستطيع أن تضمن لهم خطوط الإمداد الطويلة. وبالفعل، فقد عادوا ثانية عام 1281م حيث أعدّوا أسطولاً بحريّاً كبيراً قوامه 140 ألف جندي توجه لغزو اليابان، وكانت وجهتهم ميناء (هاكاتا) مرة ثانية؛ لكونها أضعف النقاط لعدم وجود دفاعات بحرية يمكنها أن تصمد أمام هذه القوة الكبيرة التي لم تَرَ اليابان مثلها، ولكن القوات الغازية واجهها إعصار شديد سُمّي (الكامي كازي) أو (الريح الإلهية) التي دمرت الأسطول الغازي قبل أن يصل إلى سواحل اليابان[1]. على أن هذه التجربة القاسية كشفت نواحي الضعف في حكم إقطاعية (كاماكورا) وأدت بالنتيجة إلى نهايته، وذلك عام 1333م واستعاد الإمبراطور صلاحياته، وأحدث كثيراً من الإصلاحات.

2- **حقبة مروماتشي**: تمتد هذه الحقبة من عام 1336 إلى 1573م التي شهدت سيطرة إقطاعية (مروماتشي) على السلطة السياسية.

(1) Edwin Reischaur, Japan, The Story of Nation, 4th ed. Tutle Publishing, Boston 2004, p46-45

امتازت هذه الحقبة بالصراعات والحروب الداخلية. ومن أهم الأحداث التي شهدتها هذه الحقبة وصول سفينة برتغالية إلى اليابان، عندما ضلت طريقها إلى الصين، وكانت تحمل الأسلحة البارودية، فكانت المرة الأولى التي يجرب فيها اليابانيون هذا النوع من السلاح، ولأجل ذلك رحبوا بالسفينة على مضض، وتمثل هذه هي المرة الأولى التي تتواصل فيها اليابان مع أوروبا.

3- **حقبة أزوتشي- موموياما**: امتازت هذه الحقبة القصيرة من عمر اليابان التي امتدت من 1568 إلى 1600م بوحدة اليابان واستقرارها تحت حكم قيادة واحدة قامت ببناء قوة عسكرية، وكانت تعتقد أن السبيل الوحيد لوحدة اليابان هو توجيه الأنظار نحو أهداف خارجية، فوضعت لنفسها أهدافاً طموحة ربما كانت أكبر من قدراتها بكثير، فكانت تطمح إلى أن تجعل من اليابان قوة استعمارية، فأرادت أن تحتل كوريا والصين، وفاقت أطماعها حدود المعقول، فصارت تفكر في احتلال الهند. وبالفعل، فقد أعدت أسطولاً بحريّاً توجه لغزو كوريا، ولكن القوات اليابانية واجهت مقاومة من القوات الكورية التي استنجدت بدورها بالقوات الصينية التي هبّت لنجدتها ما أدى إلى إلحاق الهزيمة الساحقة بالقوات اليابانية، وكانت النتيجة نهاية حقبة حكم (أزوتشي- موموياما).

4- **حقبة أدو**: الاسم يعود إلى مدينة (أدو) وهو الاسم القديم لمدينة طوكيو، والسبب في التسمية أن مدينة أدو (طوكيو) أصبحت

العاصمة السياسية ومركز الحكم، ومع حلول القرن التاسع عشر أصبحت أكبر مدن العالم. وتمتد هذه الحقبة التي تُعدّ من أهم الحقب في عصر الإقطاع من 1603 إلى 1876م وفي هذه الحقبة أصبح الحكم شراكة بين نحو 200 عائلة إقطاعية كانت أقواها عائلة (توكوغاوا)، التي تسمّى الحقبة باسمها أحياناً. امتازت هذه الحقبة بمسألتين على درجة كبيرة من الأهمية في تاريخ اليابان، هما:

أ- النظام الطبقي: حيث شهدت هذه الحقبة من تاريخ اليابان ظهور النظام الطبقي الذي قسم الناس إلى طبقات أعلاها العوائل الإقطاعية والقادة العسكريون وأدناها طبقة الفقراء والمعدمون والمتسولون، وهؤلاء في الحقيقة لا حقوق لهم ولا واجبات، ولا يسمح لأي من أعضاء الطبقات الأخرى بالارتباط بهم، وهذه الطبقة تشبه طبقة المنبوذين في الهند. وبين أولئك وهؤلاء انقسم الناس إلى أربع طبقات بحسب تسلسلها من الأهمية:

1- طبقة الساموري: هم حملة السلاح، ولا يسمح لغيرهم ممن هم دونهم بحمل السيف، ولا يسمح للساموراي بممارسة المهن والحرف، إذ إن ذلك أدنى من منزلتهم الاجتماعية، وهؤلاء يعيشون على ما يقدمه المزارعون من الضرائب وواجبهم حفظ الأمن والدفاع عن الإقطاعية. ويحرم عليهم استخدام السيف لتحقيق منافع ذاتية. أما الذين يستخدمون

السلاح لتحقيق منافع شخصية لأنفسهم فهم الخارجون على القانون، ويُسمّون الـ(جنجا)، ويحق للساموراي تطبيق القانون من دون الرجوع لأحد، فعلى سبيل المثال إذا رأى شخصاً يحمل السلاح من غير الساموراي، قام بقطع رأسه على الفور.

2- طبقة المزارعين: وهي أعلى طبقات أصحاب الحرف، وتحظى بمنزلة خاصة؛ لكونها التي تختص بدفع الضرائب للعوائل الإقطاعية وللساموراي، التي هي نسبة عالية من محصول الرز والتي تتجاوز نصف المحصول، وهذه تشكل مصدر الرزق الأساس للحكام والساموراي.

3- طبقة الحرفيين وأصحاب الصنائع.

4- طبقة التجار: وهي أدنى الطبقات الاجتماعية، وينظر إليهم بعين الريبة؛ وذلك لكونهم طبقة غير منتجة مثل المزارعين وأصحاب الحرف، حيث يعمل أبناء هذه الطبقة على بيع منتجات المزارعين وأصحاب الحرف، وكذلك يؤخذ عليها اتصالها بالأجانب الذين هم مصدر التلوث في المجتمعات.

ب- العزلة عن العالم: في أوائل القرن السابع عشر أخذت الشكوك تحوم حول التجار، وبدأت الاتهامات تتوجه لهم بأنهم يعملون في سبيل إعانة الأوروبيين في غزو اليابان، وأن المنصرين النصارى،

الذين قدموا مع البرتغاليين إلى اليابان خلال حقبة (مروماتشي)، إنما يمثلون واجهة للاستعمار الغربي. ولذلك قامت السلطات بوضع قيود شديدة على التجار ومنها منع صناعة السفن الكبيرة، وفرضت عقوبة الإعدام على كل من امتلك أو قام ببناء سفينة تتجاوز في حجمها المواصفات المسموح بها[1] وهذه المواصفات مقتضاها أن السفينة لا تستطيع أن تبحر لأكثر من عبور بحر اليابان والوصول إلى كوريا أو الصين. وإن السلطات قامت بإعدام كثير من المنصرين، ومنعت الأوروبيين من دخول اليابان، وحرمت اعتناق النصرانية، ولكنها بسبب الحاجة إلى التعامل التجاري مع الأوروبيين وخصوصاً فيما يتعلق باستيراد الأسلحة البارودية، كالبنادق والمدافع، فقد سمح للأوروبيين باستخدام جزيرة صناعية صغيرة قبالة ميناء (ناكازاكي) حيث لم يسمح لليابانيين بالعبور إلى الجزيرة باستثناء الرهبان البوذيين، وذلك لكونهم محصنين وغير قابلين للتلوث بالأفكار الغربية.

ومع أن هذه الحقبة شابها كثير من السلبيات، مثل تقسيم اليابان إلى إقطاعيات، والعزلة عن العالم الخارجي، وقيام النظام الطبقي، إلا أنها امتازت بالاستقرار السياسي الذي كان بمنزلة فرصة استطاعت اليابان أن تركز فيها على البناء، سواء كان بناء الفرد أو بناء المجتمع وأن تتم عملية البناء على أسس اجتماعية

(1) Ruth Benedict, The Chrysanthemum and the Sword, Tutle, 1994, p62.

قوية وذات جذور تراثية راسخة، وقد تمثلت عملية البناء بوضوح في أمرين مهمين، هما:

الأول: بناء النظام التعليمي

كان التعليم في الحقب السابقة حكراً على أبناء النبلاء والساموراي وغير متوافر لأبناء العامة من الطبقات الاجتماعية الأخرى. ولكن حقبة (أدو) شهدت طفرة اجتماعية كبيرة كان لها أكبر الأثر في بناء الفرد والمجتمع الياباني ألا وهي المدارس الدينية المرتبطة بالمعابد البوذية التي سميت (التراكويا). هذه المدارس منحت أبناء العامة فرصة نادرة للتعلم والارتقاء في السلم الاجتماعي. ومدارس التراكويا التابعة للمعابد انتشرت مع انتشار المعابد ليس في المدن فحسب وإنما في القرى والأرياف والمناطق النائية، ووفرت التعليم لأبناء العامة إضافة إلى أبناء النبلاء وطبقة الساموراي. وازداد إقبال الناس على هذه المدارس بشكل كبير حتى إن بعض التقارير ذكرت أن عدد الطلاب في مدارس (التراكويا) وصل إلى أكثر من 70% من أطفال منطقة (أدو).

ومن الواضح أن هذه المدارس التي كان لها الفضل الأكبر ليس في شيوع التعليم في اليابان ووضع أسس النظام التعليمي المميز فحسب، وإنما في إيجاد طبقة من المتعلمين من الطبقات الدنيا في المجتمع، وخصوصاً طبقة التجار، التي استطاعت فيما بعد أن تتحدى النظام الطبقي وأن تلغيه من الوجود في حقبة قصيرة جدّاً.

أمـا المنهـج التعليمي في هـذه المدارس فكان يركـز على المواد الأساسـية مـن القراءة والكتابة والحسـاب والجغرافيـة والتاريخ. هذا، ووضـعت برامج تعليمية موازية للفتيات تشتمل على الخياطة وآداب حفـلات الشـاي وتصـفيف الـورد. أما المعلمـون فكانوا من عامة الناس إضـافة إلى الرهبان والسـاموراي. وإضافة إلى ذلك، فإن نظام (التراكويا) كان يشـتمل علـى تعليم خاص يتعلم فيه كل طالب ما ينفعه، فمثلاً كانت المدارس تعلم أبناء التجار كيفية إلقاء التحيـات وأسـاليب كتابـة الرسـائل وكل ما يحتاج إليـه التاجر في حياته العملية والاجتماعية. وعلمت أبناء الحرفيين أسـماء المعدات وأسـاليب اسـتخدامها وطرق إصـلاحها وأنواع الأخشاب، وكذلك علمت أبناء الصـيادين الأنواع الخاصة من الأسماك والمواسم التي تظهر فيها وفي الوقت نفسه، ركزت على تعليم القيم الأخلاقية التي هي أساس الشخصية اليابانية[1].

ألغـي التعليـم في مدارسـ (التراكويـا) ضـمن إصـلاحات (ميجي) التي جعلت التعليم إلزاميّاً وحقّاً عامّاً من حقوق المواطنين تقـوم به مؤسسـات الدولة التعليمية، وكذلك بوصـفه خطوة لتقليل نفوذ المعابد البوذية والحد من اتصالها المباشر بالناس، وخصوصاً الأطفال والشباب واستغلال المدارس لتشكيل طريقة تفكيرهم.

(1) توكوغاوا وناكامورا، ص37.

الثاني: التربية القيادية وخصائص شخصية الساموراي

لأن طبقة الساموراي هي الوحيدة في المجتمع التي يسمح لأفرادها بحمل السلاح واستخدامه، ولأن الصلاحيات الممنوحة لهم في تطبيق القانون واسعة، فعلى سبيل المثال ينص قانون الإقطاعيات (باكوفو) «أن أي إنسان من عامة الناس الذي يسيء للساموراي أو لا يظهر الاحترام لمن هم أعلى رتبة منه، فإنه يحق للساموراي أن يقطع رأسه في الحال»[1]. ولذلك، فإن طبقة الساموراي ليست في حقيقة الأمر طبقة من الطبقات، وإنما هي أعلى بكثير من الطبقات التي هي دونها.

ومع الصلاحيات الواسعة التي تتمتع بها هذه الطبقة، إلا أنهم كانوا يعيشون عيشة التقشف، فكان لزاماً أن يضع المجتمع ضوابط واضحة لسلوك هؤلاء تضمن عدم إساءتهم استخدام السلاح والصلاحيات الواسعة الممنوحة لهم لتحقيق أغراض شخصية أو ظلم الناس، ولذلك فقد طورت مجموعة من الضوابط الأخلاقية التي سميت (البوشيدو) والتي هي عبارة عن منهاج حياة لكل من يريد الوصول إلى درجة الساموراي. وكلمة (بوشيدو) مكونة من ثلاثة رموز صينية: الأول والثاني منها (بوشي) والكلمة المركبة من الرمزين تعني الساموراي، والثالث وهو (دو) أو (تو) بمعنى

(1) Ruth Benedict, The Chrysanthemum and the Sword, Tutle, 1994, p-64.

(الطريق)، فكلمة (بوشـيدو) إذاً معناها طريق السـاموراي، التي تنبني على ثلاث ركائز، وهي: الولاء، والإخلاص، والشرف.

وخير من شرح صفات الساموراي المفكر الياباني الكبير نيتوبي أنـازو (1862-1933) نائـب الأمين العام لعصـبة الأمم ومؤسـس اليونيسكو في كتابه القيم (البوشيدو) الذي طبع للمرة الأولى عام 1900 ويُعـدّ أشـهر وأهم مؤلف ياباني في العصـر الحديث؛ ولذلك ترجم إلى أغلب لغات العالم، ومنها العربية. ويذكر المؤلف صـفات الساموراي السبع[1]:

1 - العـدل والحـزم في أداء الواجب: وتعرف بأنها قدرة السـاموراي علـى الوصـول إلـى الاختيـار الصـحيح وخصوصـاً في المواقف الصـعبة، وذلك عن طريق التدبر والمضـي بعد ذلك بعزم ودون تردد، وتعرف هذه الصـفة بأنها المضي إلى الموت متى كان الموت هو الخيار الصحيح.

2 - الشجاعة والإقدام والتفاني في سبيل إحقاق الحق.

3 - الرحمة: ذلك أن السـاموراي له الحق في مراعاة تطبيق القانون، فهـو القاضـي، والمدعي العام، والجلاد إن اقتضـت الضـرورة؛ ولذلك كان عليه أن يتصـف بصـفات الرحمة والعطف التي هي بحسب رأي كونفوشيوس (أهم صفات الحاكم).

(1) Inazo Nitobe, Bushido, Bilingual Books, Japan, 1998.

4 - الأدب والالتزام بالسلوك العام: وهذه انعكاس للرحمة بالآخرين. وهذه الصفات هي أكثر ما يجلب انتباه الزائر إلى اليابان، عندما يرى الالتزام بالتعليمات والأدب العام والابتعاد عن كل ما من شأنه إيذاء الآخرين.

5 - الصدق والإخلاص: من علامات ذلك أن الساموراي لا يحب المال، ولا يعمل لأجله، ويُعدّ الحرص على المال مخالفاً للإخلاص. ولذلك، فليس من شيم الساموراي الحديث عن المال، فكانوا يعلمون صغارهم أن الجهل بالتعاملات المالية من علامات النبل. والملاحظ اليوم أن الياباني لا يحب الحديث عن المال. ومن علامات الصدق الإتقان، فالساموراي يتقن أي عمل يقوم به بغض النظر عن طبيعة العمل، ويُعدّ الإهمال دليلاً على هبوط المرتبة.

6 - الشرف: إن الشعور بالشرف والنبل وقيمة الذات من أهم خصائص الساموراي، ولذلك يعتقد أن انتماءه لهذه المرتبة الاجتماعية هو شرف عظيم عليه أن يحرص عليه كل الحرص، وذلك يكون بألا يأتي أي فعل من شأنه أن يدنس شرف مكانته. ولذا وجب على الساموراي أن يتحمل الكثير؛ ذلك لأن الخطأ غير مقبول ممن هم بهذه المكانة، ومن هنا كان شعارهم «الصبر الحقيقي هو تحمل ما لا يطاق». وهذا أيضاً دافع مهم على إتقان العمل، فمهما كانت درجة الإتقان في أداء العمل، فإن الساموراي

يخشى ألا تكون لائقة بمرتبته وشرفه، ولذلك فهو حريص دائماً على الإتقان بغض النظر عن طبيعة المهمة، فسواء كانت مهمة تتطلب استخدام الإستراتيجيات القتالية أو تعلم فنون الدفاع عن النفس أو تعلم الخط أو الرسم التقليدي أو أي فن آخر، فإن عليه أن يتقنه غاية الإتقان، وفي الوقت نفسه يعتقد أنه في حاجة إلى تحسين الأداء.

أما إذا أخطأ الساموراي فالسبيل الوحيد أمامه لاسترداد شرفه أنما يكون بأدائه لما يسمى (سيبوكو) وهي عملية الانتحار عن طريق بقر البطن بالخنجر من اليمين إلى اليسار. ولذلك فسلاح الساموراي هو السيف الذي يدافع به عن نفسه، ويحارب به أعداءه وكذلك الخنجر الذي يحافظ به الساموراي على شرفه إذا ما زلّ أو فشل أو أتى أي فعل يجلب له أو لعائلته العار. ومن هنا نفهم السر وراء انتحار الأعداد الكبيرة من الضباط اليابانيين عند سماعهم خطاب الإمبراطور، وهو يعلن الاستسلام في نهاية الحرب العالمية الثانية؛ لشعورهم بأنهم هم الذين خذلوا الإمبراطور، ووضعوه في هذا الموقف المحرج.

7 - الولاء: المصالح الشخصية، وبالتحديد المادية منها تدمر العلاقات البشرية، ومن هنا كان ولا بد للساموراي من أن يجعل ولاءه لسيده فوق كل شيء، وأن يعيش حياة التقشف، وهذا الولاء

إنما يكون لأسباب فوق المادة. ومن القصص التاريخية التي يذكرها اليابانيون كثيراً التي تدلّ على ولاء الساموراي قصة (السبعة وأربعين سامورايا) التي توضح المدى الذي يمكن أن يصل إليه الساموراي في ولائه لسيده.

ومن أهم الأمور التي يهتم لها الساموراي معرفة مكانته، فسواء قابل شخصاً غريباً أو دخل إلى مجلس يجمع عدداً من الحضور، فإن المهمة الأولى هي أن يعرف مكانته بالنسبة إلى الآخرين؛ لأن تحديد هذه المسألة تترتب عليها الكثير من الأمور، منها الدور الذي يقوم به ودرجة الاحترام التي يجب أن يقدمها للآخرين وهل هو المتحدث مثلاً أم أن هناك من هو أعلى مرتبة منه، وعليه ألا يتجاوز مرتبته، ويبدأ بالحديث، ثم إن لغة التخاطب تعتمد على مكانة المقابل، ومن ذلك طريقة إلقاء التحية، فتحية الزميل تختلف تماماً عن تحية الرئيس، وكذلك تحية الولد تختلف عن تحية الوالد، ومنها اختلاف درجة الانحناء أمام الآخر، وهكذا. ومن هنا نفهم الأهمية الكبيرة التي يضعها اليابانيون على تبادل البطاقات الشخصية في بداية اللقاءات؛ لأنها الوسيلة التي يتعرف من خلالها إلى مكانة المقابل ومرتبته، ومن ثم، يحدد بناءً على ذلك دوره بالنسبة إلى الآخرين[1].

(1) Benedict p-43-75.

قصة السبعة وأربعين ساموراياً

يروى أنه في عصر (توكوغاوا) كان يجب على جميع الحكام المحليين أن تكون لهم قصور في مدينة (أدو) وأن عوائلهم يجب أن تعيش في أدو، وليس في مدنهم، وكذلك يجب على القادة أن يعيشوا في (أدو) سنة كاملة مقابل سنة أخرى في مدنهم، كل ذلك لكي يضمن (توكوغاوا) ولاءهم له، وكان في مرة من المرات أن حضر أحد الحكام من مقاطعة (أكوياما) الجنوبية في أدو واسمه (يوسانو) وقد عرف هذا الحاكم بأنه طور طريقة استخلاص الملح من البحر، وهذه الطريقة وأهميتها ربما جلبت عليه الحسد من الحكام الآخرين وخصوصاً السيد (كامئي) الذي كان منافساً له، وحصل أن حدثت مشادة بين الاثنين، وحاول فيها (يوسانو) قتل غريمه بسيفه، ولم ينجح، وإنما أصابه بجرح. كانت هذه المبارزة مخالفة لتعاليم (البوشيدو) ولذلك تسببت في حدوث مشكلة في القصر، ولذلك أمر (توكوغاوا) السيد (يوسانو) بالانتحار عن طريق بقر البطن بالخنجر؛ لمخالفته التعاليم وجلب العار لشرفه الذي يستوجب عليه أن يستعيده بخنجره. وبالفعل، فقد أدى السيد (يوسانو) عملية (السيبوكو).

أثارت هذه الحادثة مشاعر الاستياء عند الساموراي الذين كانوا يدينون بالولاء للسيد (يوسانو) والذين أصبحوا يعرفون بـ(رونين) لأنهم فقدوا سيدهم، وما زاد في استيائهم أن (توكوغاوا) لم يعاقب غريم سيدهم مع أنهم يعتقدون أنه كان السبب في المشاجرة، ولذلك

خططوا للانتقام لشرف سيدهم مع علمهم بأن عملهم هذا سوف يجلب عليهم عقوبة الانتحار؛ لأنه أيضاً يخالف تعاليم الساموراي. وبالفعل، فقد تآمر هؤلاء على قتل الغريم وكانوا سبعة وأربعين إضافة إلى شقيق السيد (يوسانو). وفي اللحظة المناسبة انقضوا على الغريم، وقتلوه، وفرّ واحد منهم إلى مقاطعة (أكوياما) لنقل البشارة بثأرهم لسيدهم، وألقي القبض على الستة وأربعين والسيد (يوسانو) وأمروا بالانتحار، فما كان منهم إلا أن أدوا (السيبوكو) جميعاً، ودفنوا في معبد (سنكا كوجي) الشهير في طوكيو. وقصتهم مشورة جدّاً، وتروى على شكل فيلم في الأعياد من كل عام.

وهناك من أكمل صفات طبقة الساموراي لتصل إلى عشر، وذلك بإضافة ثلاث صفات أخرى، هي:

8 - احترام الآباء والأسلاف وطاعتهم.

9 - الحكمة.

10 - العناية بكبار السن والضعفاء.

إن هذه الصفات لم تبقَ حكراً على طبقة الساموراي، وإنما أصبحت المدرسة التربوية للقيادات على مختلف الأجيال، وبذلك يمكن اعتبار هذه الصفات الجذور الأخلاقية للشعب الياباني كما يقول (أنازو)[1]. والذي يتعامل مع اليابانيين أو يتعايش معهم يلاحظ أن هذه الصفات والخصائص لا تزال حية بين الناس.

(1) Inazo Nitobe, Bushido, Bilingual Books, Japan, 1998. p-253.

4.4. نهاية نظام الإقطاع

أخذ نظام الإقطاع يتهاوى أمام الضغوط الخارجية وبروز عوامل اجتماعية جديدة. أما الضغوط الخارجية فقد بلغت أوجها في الثامن من شهر (يوليو) عام 1853م مع وصول (الكومودورماثيو بيري) مع أربع سفن تابعة للبحرية الأمريكية إلى ميناء (أدو)[1] ووجه المدافع العملاقة لسفنه الراسية تجاه المدينة، وطلب من اليابان إنهاء سياسة العزلة وفتح موانيها أمام السفن الأمريكية، وكانت الولايات المتحدة تريد من وراء ذلك الاستفادة من الموانى اليابانية لسفنها الذاهبة في طريقها إلى الصين وبقية آسيا، وكانت ترغب في فتح الأسواق اليابانية أمام بضائعها، هزّت هذه الحملة أركان النظام السياسي المتمثل في حكم إقطاعية (توكوغاوا) التي لم يكن أمامها خيار سوى الاستجابة، إذ إن أي مقاومة لن تكون إلا بمنزلة نوع من الانتحار أمام التفوق العسكري للبحرية الأمريكية، ولأن سياسة العزلة حرمت اليابان من فرصة بناء قوات بحرية كان يمكن أن تمنحها الفرصة للدفاع عن نفسها. ويقال: إن اليابانيين بهروا أمام هذه القوة العسكرية، ولم يكن أمامهم سوى مراقبتها وكتابة التقارير المفصلة حول السفن الراسية وتحركاتها، فكانت الريح تأتي وتحرك الشراع، وفي اليوم المقبل يكتب اليابانيون التقارير عن الوضع الجديد لأشرعة السفن ظنّاً منهم أنها تعني شيئاً مهمّاً.

(1) طوكيو القديمة عند منطقة شيناغاوا الآن.

فكـر اليابانيـون أولاً في المقاومـة، وبالفعل فقد قاموا بإنشـاء دفاعـات علـى مدخل الميـنـاء، وذلك بإقامـة جزيرة اصـطناعية، ووضعوا عليها المدافع التي اكتشفوا أنها ليست من القوة التي يمكن أن تصـمد أمام السـفن الأمريكية. ولا تزال هذه الجزيرة موجودة عند المنطقة التي فيها جسـر (Rainbow Bridge) الذي هو الجسـر المعلق فوق خليج طوكيو مقابل الميناء اليوم.

وفي 31 (مارس) عاود (الكومـادور بيري) الكرّة مرة أخرى، ولكن هذه المرة بسبع سفن حربية، وفرض على اليابان التوقيع على معاهـدة (كاناغاوا) التي وقعها هو بالنيابة عن الرئيس الأمريكي، ووقعهـا حاكـم إقطاعيـة (توكوغـاوا) بالنيابـة عـن الإمبراطور، حيـث فرضـت هـذه الاتفاقيـة التي تكونـت من مقدمـة و13 مادة علـى اليابان أموراً عدة، أهمها فتح ميناءين هما ميناء (شـينودا) وميـنـاء (هاكوديد)، الذي يقـع في جزيرة (هوكايدو) الشـمالية، أمام السـفن التجارية والحربية الأمريكية وفتح قنصـلية أمريكية في ميناء (شينودا) كذلك ألزمت الاتفاقية اليابان مساعدة السفن الأمريكيـة المعطوبـة أو المدمرة في البحـر أو بحارتها وتقديم العون لهم وإيصالهم إلى أي من الميناءين أعلاه.

كانت الأهداف الحقيقية لحملتي (الكومودور بيري) والاتفاقية التـي نتجت عنها أهدافاً عسـكرية إسـتراتيجية متمثلة في حصـول الولايات المتحدة على تسهيلات في استخدام سفنها البحرية للموانـي

اليابانية، إضافة إلى الأهداف الاقتصادية المتمثلة في فتح الموانى والأسواق اليابانية أمام البضائع الأمريكية. وهذه الحملة ما هي إلا فصل من فصول الأطماع الغربية في جنوب شرق آسيا عامة والصين بالتحديد طمعاً في مواردها. هذه الحملة الغربية التي بدأت منذ قرون، وحاولت الولايات المتحدة منذ 1784 اللحاق بها والتي تهدف من ورائها إلى الحصول على موطئ قدم يساعدها على الوصول إلى جنوب شرق آسيا، ويمنح سفنها محطة في طريقها إلى الصين[1].

إضافة إلى تلك الاتفاقية مع الولايات المتحدة، فقد وقعت اليابان اتفاقيات أمليت عليها مع دول أخرى.

أما السبب الداخلي في نهاية الإقطاع، فيعود إلى العوامل الاقتصادية التي يشرح دورها السيد يوشيدا، رئيس وزراء اليابان في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وأحد أهم مؤسسي نهضتها الحديثة، في شرحه لأسباب نهاية عهد الإقطاع:

«ومن هذه العوامل التوسع في السوق الاقتصادي مع تزايد نفوذ طبقة التجار. فمع اقتراب نهاية مرحلة (توكوغاوا) حقق الناتج الاقتصادي نمواً مطرداً مصاحباً بنمو في الاستهلاك في المدن مع تأسيس أعداد كبيرة من المصانع الصغيرة. وفي الوقت نفسه، فإن التجار أخذوا يجمعون أموالاً كبيرة، التي من شأنها أن

(1) Walter W. McLaren, Political History of Japan During the Meiji Era, Frank Cass, London, 1965, p-38.

تجلب النفوذ والتأثير معها على الرغم من المستوى الطبقي المتدني لهم في مجتمع منقسم طبقيّاً[1]».

وبعبارة أخرى، فإن للانفتاح الاقتصادي وما سبقه من بدايات النشاط الاقتصادي آثاراً كبيرة تجاوزت الاقتصاد، وأحدثت تغييرات اجتماعية؛ ذلك أن النبلاء وطبقة الساموراي الذين كانوا يعيشون على الضرائب التي يدفعها المزارعون، وهي ليست بالكثيرة، ألزمتهم بأن يعيشوا حياة التقشف، ولم يجدوا وسيلة للوصول إلى الثروات التي أصبحت في حوزة طبقة التجار سوى الاختلاط بهذه الطبقة التي هي أدنى الطبقات الاجتماعية، وذلك عن طريق الزواج. أنشأت هذه الحالة حركة اختلاط بين الطبقات، وفتحت أبواب التأثير أمام التجار الذين أخذوا يستخدمون ثرواتهم بوصفها وسيلة الوصول إلى دوائر القرار السياسي ومحاولة إحداث تغييرات اجتماعية وسياسية تلغي الطبقية من المجتمع.

القسم الثاني: تاريخ اليابان الحديث

5.4. حرب بوشن 1868 وتوحيد اليابان تحت سلطة الإمبراطور

أحدثت الاتفاقيات المجحفة التي فرضت على اليابان من قبل الدول الغربية حالة من التململ عند كثير من النبلاء وطبقة

(1) Shigeru Yoshida, Japan's Decisive Century 1867-1967, Praeger, New York (1967), p18.

الساموراي من أصحاب المشاعر الوطنية الذين التفّوا حول الإمبراطور بوصفه رمزاً للوطنية اليابانية، وأخذوا يحمّلون حكومة (توكوغاوا) المسؤولية المباشرة عما آلت أليه الأمور، من أجل ذلك تعالت صيحاتهم بضرورة توحيد البلاد تحت سلطة الإمبراطور وبناء مؤسسات الدولة؛ لكونه السبيل الوحيد الذي من شأنه أن يمكّن اليابان من التصدي لمحاولات الدول الغربية فرض هيمنتها على البلاد، وأمام الضعف الواضح لحكومة (توكوغاوا) أمام مواجهة التحديات لم يجد كثير من الإقطاع سوى التنازل عن صلاحياتهم ووضع إمارتهم وإمكانيتهم تحت إمرة الإمبراطور. وهذه الحالة وضعت أمام الإمبراطور الشاب (ميجي) الذي ورث العرش توّاً من والده الفرصة مواتية، فقام بإصدار الأوامر بإلغاء حكم (توكوغاوا)، وعندها لم تجد حكومة (توكوغاوا)، وخصوصاً بعد قيام القوى الموالية للإمبراطور بالتحرش بها في (أدو)، بدءاً من مهاجمة القصر الإمبراطوري في (كيوتو)، لكن القوة الموالية للإمبراطور التي تميزت بالحماسة وحداثة الأسلحة استطاعت، ليس فقط أن تصدّ الهجوم، وإنما استغلت الفرصة للقيام بهجوم معاكس في اتجاه (أدو) والانتصار على القوة المدافعة عن المدينة.

لم تجد قوة (توكوغاوا) أمامها سوى الانسحاب إلى شمال جزيرة (هونشو) تاركة وراءها معظم اليابان التي أصبحت تحت سلطة الإمبراطور باستثناء المقاطعات في القسم الشمالي من جزيرة

(هونشو) التي اتحدت مع بعضها في مواجهة القوات الإمبراطورية، وشكلت ما سمي تحالف المقاطعات الشمالية. هذه القوى استطاعت أن تجمع أعداداً كبيرة جدّاً من المقاتلين، ولكن كانت تنقصهم العدة من السلاح الحديث، حتى إنهم قاموا بصناعة المدافع من جذوع الأشجار التي حفروها، ثم لفّوها بالحبال لتقويتها، إضافة إلى أنهم استطاعوا شراء ثلاثة مدافع ألمانية مع مئتي بندقية. وفي (مارس) 1868م حدثت موقعة (هوكوئيتسو) في مقاطعة (ناغا أوكا) التي تمكنت فيها قوات التحالف الشمالي من إنزال خسائر فادحة بقوات الإمبراطور قبل أن تهزم أمامها.

بعد الهزيمة اضطرت قوات التحالف الشمالي إلى عبور المضيق إلى جزيرة (هوكايدو) حيث أعلنت المنطقة استقلالها عن اليابان تحت اسم جمهورية مستقلة باسم جمهورية (أزو)، ولكن القوة الموالية للإمبراطور لم تمهلها كثيراً، وهزمتها في معركة (هاكوديت) التي حسمت الأمر، ووحدت البلاد تحت حكم الإمبراطور (ميجي). ففي 26 (أكتوبر) ابتدأت حقبة حكم الإمبراطور (ميجي) رسميّاً، وكان عمره آنذاك 16 سنة. وتم نقل العاصمة من (كيوتو) إلى مدينة (إدو) التي تغيرت تسميتها إلى (طوكيو) وتعني العاصمة الشرقية. والحقيقة أن الإمبراطور بسبب حداثة سنه وقلة خبرته، لم يكن سوى الرمز الذي اتخذته مجموعة من القادة الذين خططوا لعملية توحيد اليابان. وسوف نأتي إلى ذكر سيرتهم فيما بعد.

قصة المئة كيس رز:

درس مهم في إعادة الإعمار من واقع الأحداث التي شهدتها اليابان في حرب التوحيد، وهي قصه طالما ذكرنا بها رئيس وزراء اليابان الأسبق السيد (جونشيرو كوئيزومي) في لقاءاته مع الضيوف القادمين من بلاد العالم الثالث، مثل العراق، وهي قصة تعرف في اليابان بـ (**كومي هيابيو**) أو (**مئة كيس رز**) وهي قصة يعود تاريخها إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وذلك عندما قرر قادة اليابان أن تتوحد البلاد تحت حكم الإمبراطور، وأن ينتهي العمل بنظام الإقطاع والطبقات الاجتماعية، كما وضحنا أعلاه.

اجتمع عقلاء اليابان ورؤساء الإقطاعيات، وقرروا أن الرد على التحدي الأمريكي هو بوحدة اليابان تحت حكم الإمبراطور (ميجي) وأن يتنازل حكام الإقطاعيات عن أملاكهم وصلاحياتهم إلى الإمبراطور، وأن تقوم اليابان بانتهاج برنامج نهضة شاملة قائم على دراسة تجربة الدول الغربية والاستفادة منها قدر الإمكان. ولذلك اختار الإمبراطور مجموعة من خيرة الشباب اليابانيين المتشبعين بالثقافة اليابانية والفلسفة الصينية وإرسالهم إلى خيرة الجامعات الأوروبية، وكذلك قام باستقدام العلماء والمهندسين الأوروبيين ووزّعهم على المحافظات لإقامة مراكز تعليم وإبداع صناعي باليابان.

على أن عملية التوحيد هذه لم تحدث بين عشية وضحاها، ذلك أن بعض الإقطاعيات رفضت الفكرة وأبت الانصياع للحكم المركزي، فما كان من الإمبراطور إلا أن أرسل قواته لإخضاع هذه الإقطاعيات بالقوة، وكانت حروباً كبيرة. وكان من هذه الإقطاعيات التي رفضت الانصياع للحكم المركزي محافظة (ناغا أوكا) وكانت النتيجة حرباً أحرقت الأخضر واليابس، وحصلت مجاعة كبيرة في المنطقة التي دمرتها الحرب. فما كان من الحكومة المركزية إلا أن سارعت بإرسال معونة عاجلة لإغاثة المحتاجين، وكانت عبارة عن مئة كيس رز. تسلّم المعونة السيد (كوباياشي) بالنيابة عن السكان، وأخذ يفكر في أحسن الطرق للاستفادة من المعونة.

نعم، لقد فكر السيد (كوباياشي) في أن يبيع أكياس الرز، وأن يستفيد من المبلغ الكبير الذي يمكن أن يأتي من بيعها. ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن أن السيد (كوباياشي) يذكرنا بكثير من المسؤولين في بلاد العالم المنكوبة الذين يستغلون معاناة الناس في سبيل الإثراء غير المشروع، لكن الحق يقال: إنه لم يفكر في أن يستفيد من الأموال لنفسه، ولكنه فكر مثلما يفكر الساموراي في نفع الآخرين، وذلك بالاستفادة منها في بناء مدرسة لأبناء المحافظة التي دمرتها الحروب، لم تلاقِ فكرة السيد (كوباياشي) قبولاً من كثير من أهل المنطقة، خصوصاً أولئك الذين هم في أمسّ الحاجة إلى وجبة طعام تسدّ رمقهم، لكن السيد (كوباياشي) أصر على

فكرته، وقرر الدعوة إلى اجتماع لأهل المنطقة، لعرض الفكرة عليهم وحثهم على قبولها، وقال لهم: «إننا إذا قمنا بتوزيع المئة كيس رز، وأكلناها، انتهى أثرها على الفور، ولكننا إذا استثمرنا أموالها في التعليم، فإن المئة كيس رز قد تصبح عشرة آلاف كيس، وقد تصبح مليون كيس» وبمثل هذه الحجة استطاع السيد (كوباياشي) إقناع الأهالي بفكرته. وبالفعل بيعت المئة كيس رز، وبني بثمنها مدرسة (كابو غوكان).

هذه القصة توضح أهمية الاستثمار في العنصر البشري، وأن هذا الاستثمار هو المفتاح لنهضة الشعوب، ما أحوجنا في هذه الأيام إلى مسؤولين من أمثال السيد (كوباياشي) وإلى فكر مستنير مثل الفكر التي تمثله هذه القصة. ولقد صدق المثل القائل: «إنك إذا أهديت جائعاً سمكة أشبعته يوماً، أما إذا علمته الصيد، فقد أشبعته طوال حياته».

6.4. إعادة بناء اليابان في مرحلة ميجي[1]

يُعدّ الإمبراطور (ميجي) بحق رمز النهضة اليابانية الحديثة، فمن هو هذا الإمبراطور؟ وما الأحداث المهمة التي مكّنته من أداء هذا الدور التاريخي في تلك السن المبكرة من حياته؟

(1) Encyclopedia Americana, vol. 18 pp 596 .

1.6.4. الإمبراطور ميجي:

- ولد الأمير (موتسوهيتو) في مدينة (كيوتو) العاصمة القديمة لليابان في الثالث من (نوفمبر) عام 1852م أي قبل أقل من سنة على وصول حملة (الكومودور ماثيو بيري) على رأس الحملة الأمريكية التي أيقظت اليابان من سباتها، ووالده هو الإمبراطور (كومي).
- في 30 (يناير) عام 1867م توفي الإمبراطور (كومي) فخلفه ولي العهد الأمير (موتسوهيتو) وتولى العرش رسمياً في الثالث من (فبراير) من العام نفسه وكان عمره 14 سنة، واختار لحقبة حكمه اسماً هو (ميجي) وتعني الحكم المتنور. وهذا هو العرف المعمول به في اليابان إلى يومنا هذا، إذ يتخذ الأباطرة اسماً لحقب حكمهم، ويبدأ من حينها التاريخ لتلك الحقبة، فمثلاً يؤرخ الحدث الذي وقع في العام الأول بعد تولي الإمبراطور (ميجي واحد) وهكذا تحسب الأعوام.
- بعد تسلّمه العرش أصدر القسم الإمبراطوري، وحدد فيه النقاط الخمس التي هي أسس مشروعه الإصلاحي وهي:

1- إنشاء المجالس التي تتم فيها مناقشة الشؤون العامة من قبل الممثلين بصورة علنية.

2- كل الطبقات يجب أن تتحد في الخدمة الإدارية في مؤسسات الدولة.

3- إزالة جميع شروط الانتماء الطبقي للعمل.

4- إلغاء كل العادات السيئة وإزالة آثارها من المجتمع.

5- طلب العلم من جميع أنحاء العالم والاستفادة من ذلك لتقوية أسس الإمبراطورية.

قد يتبادر إلى الذهن أن المقصود من الفقرة الأولى هو إنشاء نظام ديمقراطي، والحقيقة أن هذه لم تكن واردة في أذهان القادة، ومنهم الإمبراطور، لكن المقصود منها هو إعطاء تطمينات لطبقة الساموراي بأنه سوف يكون لهم دور مستقبلي في إدارة شؤون البلاد[1]. لكن ذلك لم يمنع بعضهم وخصوصاً أولئك الذين هم على دراية بالأنظمة الديمقراطية في أوروبا من أن يفهموها على أنها تسير بهم في ذلك الاتجاه، كما يشير إلى ذلك (شيغرو يوشيدا)[2].

مما سبق يتضح أن الإمبراطور، وإن لم يقم بإلغاء النظام الطبقي إلا أنه خطا الخطوة الأولى في سبيل ذلك، وهي خطوة إلغاء الشروط الطبقية في العمل، وهذه بدورها كانت خطوة كبيرة في الاتجاه الصحيح ومرحلة أولى في طريق إلغاء الطبقية.

(1) Edwin Reischaur, Japan, The Story of a Nation, 4th ed. Tutle Publishing, Boston 2004, p118.

(2) Shigeru Yoshida, Japan's Decisive Century 1867-1967, Praeger, New York (1967), pp. 10-11.

وعـام 1871م تم إلغـاء النظـام الإداري القـديم الذي قسـم اليابان إلى مقاطعات شـبه مسـتقلة واسـتُبدِل به نظـام الإدارات المحلية التابعـة للحكومة المركزية. وفي العام المقبل تم إلغاء النظام الإقطاعي ونظام الطبقات ونظام الساموري، واستُبدِلت بها أنظمة جديدة للتعليم والخدمة العسكرية والخدمة المدنية.

ولم تمضِ مـدة طويلة حتى أخذت إصـلاحات (ميجي) تؤتي بعضـ ثمارها، فعام 1899م نتيجة لاعتراف الدول الغربية بالوضـع الجديد في اليابان، فقد تم إعادة النظر في الاتفاقيات التي فرضت على اليابان من طرف واحد. ونتيجة الوضـع الجديد بدأت اليابان تتحول تدرجيّاً إلى مصافّ الدول المستعمرة، وكانت أولى الخطوات هـي الحـرب اليابانية - الصـينية عـام 1894-1895م التي هزمت اليابان فيها الصـين، وكان من أوضـح علامات التغيير في الوضـع الدولي لليابان أنها عام 1902م دخلت في حلف مع المملكة المتحدة.

وكانت المفاجأة الكبرى ونقطة التحول الواضـحة في التاريخ الياباني في هـذه المرحلة هي الحرب اليابانية الروسـية عامـي 1904-1905م التي هزمت اليابان فيها روسيا، وفرضت عليها اتفاقية تنازلت بموجبها روسيا عن بعض الأراضي. هذه الحرب جاءت نتيجة التوسع الكبير الذي قامت به الإمبراطورية الروسـية في اتجاه الشـرق وخصوصاً في منشـوريا وكوريا التي تعدّها اليابان من المواقع الحيوية بالنسبة

إليها، ولذلك دخلت في سبيلها الحرب لإبعاد النفوذ الروسي. وكانت النتيجة أن استطاع الجيش الياباني أن يحسم الحرب وخصوصاً بعد معركة (بورت آرثر). لقد كان لهذه الحرب الأثر الكبير في النفسية اليابانية التي بدأت تشعر بالزهو، وأنها استطاعت أن تحقق الحلم الذي راود القادة الذين قاموا بالعملية التصحيحية التي وحدت اليابان قبل أقل من أربعين سنة. إن الانتصار في الحرب اليابانية – الروسية أغرى القيادة اليابانية بالتوسع، فقامت عام 1912م بتوسيع الإمبراطورية اليابانية، وذلك بضم كوريا و(فرموزا أو تايوان) إضافة إلى (منشوريا).

– في 30 (يوليو) عام 1912م توفي الإمبراطور (ميجي) بعد مدة حكم امتدت 45 سنة، وشهدت أكبر وأهم التحولات في تاريخ اليابان التي انتقلت من دولة ضعيفة ممزقة ومسلوبة الإرادة إلى واحدة من الدول العظمى في العالم في مدة قياسية. وخلف الإمبراطور (ميجي) ابنه الأمير (يوشيهيتو) المولود في 31 (أغسطس) عام 1879م الذي حكم باسم (تايشو) التي تعني مدة الحكم البار.

2.6.4. دستور ميجي:

أقر الإمبراطور (ميجي) عام 1889 دستوراً لليابان الذي حول اليابان إلى دولة إمبراطورية دستورية، وذلك على شاكلة النظام السياسي الألماني. والدستور الجديد مكون من مقدمة و55 مادة موزعة على خمسة فصول وخاتمة:

- يحتوي الفصل الأول على سبع مواد منحت الإمبراطور صلاحيات تنفيذية وتشريعية واسعة منها حل البرلمان وتشكيل الحكومة ووضع الموازنة وقيادة القوات المسلحة.
- الفصل الثاني الذي يحتوي على 15 مادة تتعلق بحقوق وواجبات المواطنين، وفصلت حقوق وواجبات المدنيين والعسكريين وكذلك ميزت بين حالات السلم والحرب.
- الفصل الثالث احتوى على 22 مادة تتعلق بالسلطة التشريعية وصلاحيات البرلمان الذي شكل على غرار البرلمان البريطاني بمجلسي النواب والأعيان، وإن كان بصلاحيات أقل بكثير من نظيره البريطاني، حيث افتقدت المواد أي ذكر للبرلمان فيما يتعلق بالإشراف على السلطة التنفيذية. ونصت المواد على أن دورة انعقاد البرلمان مدة ثلاثة أشهر، ويمكن أن ينعقد في دورة غير عادية عندما تقتضي الضرورة.
- الفصل الرابع احتوى على مادتين تتعلقان بتشكيل مجلس الوزراء ومجلس البلاط، ونصت على أن واجب المجلسين تقديم المشورة للإمبراطور الذي له الحق في تعيين الوزراء وإعفائهم، وكما ذكرنا، فإن المادتين لم تتطرقا إلى أي دور إشرافي للبرلمان.
- الفصل الخامس يتكون من خمس مواد تتعلق بالسلطة القضائية، وتنص على تشكيل ثلاثة أنواع من المحاكم المدنية

والجنائيــة والإدارية. وتحتوي الخاتمة علــى أربع مواد تتعلق بتعديل الدستور[1].

3.6.4. نتائج إصلاحات ميجي:

كمــا ذكرنا ســابقاً، فإنه من الخطأ الاعتقاد أن الإصــلاحات التي حدثت في اليابان بعد تنصــيب الإمبراطــور (ميجي) هي من جهــود الإمبراطور وحــده، ذلــك لأن العملية الإصــلاحية إنما هي ثمرة جهود حركة سياســية أُسســت قبل ميــلاد (ميجي) وفي أثناء حكــم والــده الذي شــجع هذه الحركة التــي كانت ترمي إلــى إنهاء حكــم الإقطــاع وتوحيد اليابــان والتصــدي للنفــوذ الأجنبي الذي ابتدأ يفرض شــروطه على حكومــة (توكوغاوا) الضــعيفة. وكانت هــذه الحركة ذات الجذور الكنفوشــية واســمها (ســوننو جوئاي) كما أســلفنا قد أعدت برنامجاً إصــلاحيّاً متكاملاً، الغاية منه بناء القوة الذاتية لليابان على أســس حديثة مــن دون الإخلال بالثوابت الاجتماعية، وذلك للتصدي لمحاولات الهيمنة الغربية، واستطاعت هــذه الحركــة أن تتخذ مــن الإمبراطــور ميجي رمزاً لها. ويشــرح (شــيغرو يوشيدا) وهو رئيس وزراء اليابان وأهم شخصية سياسية في اليابــان في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وواضــع أســس نهضة اليابان الحديثة هذه المسألة، فيقول:

(1) Walter Wallace McLaren, A Political History of Japan During the Meiji Era, Fran; Kase, London, 1965 193-199.

«في بداية مساعيهم الرامية إلى الإطاحة بحكم الإقطاع اكتسب القادة المؤسسون لمرحلة (ميجي) فهماً دقيقاً للعملية السياسية، وذلك من خلال سفرهم إلى الخارج الذي جعلهم على غاية الإعجاب بالحضارة الغربية والحاجة الماسة لاقتباسها. فعلى سبيل المثال نذكر مثالاً واحداً من أولئك ألا وهو (توشيميتشي أوكوبو) الذي أدّى دوراً أساسيّاً في إصلاحات ميجي وبالتحديد في دائرة تطوير التصنيع. فهو كان قد قضى أربع سنوات في أوروبا، بعد إعادة الصلاحيات للإمبراطور، وكان حينها في أوائل الأربعينيات من عمره. فقد أعجب بالمصانع وسكك الحديد والطرق والقنوات المائية في إنجلترا، ما أدى إلى اعترافه بالهوة الهائلة بين الوضع هناك والأحوال في بلده. إن جهده الكبير الذي بذله في رعاية حركة التصنيع الناشئة في اليابان يعود مباشرة إلى علمه بالأوضاع الخارجية»[1].

إن انقلاب 1867م نفذ بدقة وبسرعة بسبب الإعداد الدقيق الذي سبق التنفيذ من قبل أنصار حركة إعادة الإمبراطور. لقد كانت القوة التي دفعت بالإمبراطور إلى تسلّم مقاليد الأمور مكونة من عدد من الأفراد من مختلف الخلفيات والميول والتوجهات وبعض العسكريين، وكانت الحركة تمثل جهود قرون عدة، وإن

(1) Shigeru Yoshida, Japan's Decisive Century 1867-1967, Praeger, New York (1967), pp. 10-11.

كان بعضهم عمل فيها عقدين من الزمن. وكانت الوسائل التي اتخذت لضمان تحقيق الهدف بعضها يعود لرجال عظماء ضحوا بمصالحهم الشخصية في سبيل خدمة أمتهم، وإن كان بعضهم من أصحاب الأهداف الشخصية كبعض رجال الساموراي الذين كان همهم الانتقام أو تحسين أوضاعهم الشخصية[1] ولذلك نرى أنه ما إن استتب الأمر للإمبراطور حتى بدأت وتيرة الإصلاحات تسير بسرعة كبيرة علماً بأن الإمبراطور (ميجي) كان فتى عمره 15 سنة عندما تسلّم السلطة. وفيما يأتي أهم هذه النتائج التي تحققت من خلال العملية الإصلاحية:

1 - بناء مؤسسات الدولة الحديثة:

قام الإمبراطور (ميجي) بإصلاحات جذرية في إعادة بناء الإنسان في اليابان وبناء الدولة الحديثة، وللوصول إلى ذلك حاول ومن حوله الاستفادة قدر الإمكان من التجارب الأوروبية، فعلى سبيل المثال أولى الإمبراطور أهمية كبيرة لكتابة دستور حديث، فشكل لجنة قامت بدراسة دساتير كثير من البلدان الغربية، فدرست دستور الولايات المتحدة، ووجدت أنه متحرر أكثر مما يلائم اليابان، وأن فيه تركيزاً كبيراً على الحريات، وقامت

(1) Walter Wallace McLaren, A Political History of Japan During the Meiji Era, Fran; Kase, London, 1965 15.

بدراسة دستور المملكة المتحدة، ورأت أنه يعطي صلاحيات واسعة للبرلمان على حساب الإمبراطور، وكذلك درست اللجنة دساتير فرنسا وإسبانيا، وخلصت إلى نتائج مماثلة، ولكن اللجنة وجدت ضالتها في الدستور الإمبراطوري الألماني خصوصاً فيما يتعلق بدور الإمبراطور وصلاحياته. ومن أهم ما جاء به الدستور بناء البرلمان الذي أخذ شكل البرلمان البريطاني بمجلسيه.

إضافة إلى ذلك أنشئت مؤسسات مهمة للعملية الديمقراطية، مثل الصحافة التي كانت بدايتها مع بداية إصلاحات (ميجي) فعلى سبيل المثال ظهرت الصحيفة اليومية الأولى في اليابان واسمها (يكوهاما مينيتشي) عام 1870 لتتبعها بداية إحدى الصحف التي شكلت فيما بعد صحيفة (ماينيتشي شمبن) عام 1872 وبعد ذلك بعامين أُسّست صحيفة (اليوميوري شمبن) ثم (الأساهي شمبن) عام 1879م.

2- التصنيع والتعليم:

وضعت الحكومة اليابانية في عهد (ميجي) خطة متكاملة للانتقال باليابان من بلد زرعي إلى بلد صناعي، وكان ذلك القرار قد اتخذ على حقيقة أن اليابان لا يمكن أن تكون بلداً زراعيّاً؛ وذلك لأن مساحة الأرض القابلة للزراعة في اليابان لا تتجاوز 15% من مجمل الأراضي، حيث إن معظم الأرض في اليابان عبارة عن جبال

صخرية وعرة. ولتحقيق هذا الهدف وضعت حكومة (ميجي) خطة متكاملة قامت فيها باختيار الآلاف من صفوة الطلبة اليابانيين، وقامت بإرسالهم في بعثات إلى الولايات المتحدة والدول الأوروبية والدراسة فيها ونقل الخبرات العلمية والتكنولوجية والحرص على ألا يصبح هؤلاء سفراء للثقافة والفكر الغربي، ولذلك قامت باختيار الطلبة المتشبعين بالتعاليم التراثية والدينية والفلسفية اليابانية. إضافة إلى ذلك قامت الحكومة اليابانية باستقدام نحو ثلاثة آلاف أستاذ جامعي ومهندس وخبير، ووزعتهم على مختلف المراكز التي اختيرت بوصفها مراكز للتصنيع والدراسة، وذلك لتعليم اليابانيين العلوم والرياضيات واللغات وأسس الصناعة والمكننة. وإن الحكومة قامت بتوفير الحوافز التي ساعدت على انتشار التصنيع، فأنشأت المصانع الكبيرة التي قامت بإعطائها إلى الإقطاعيين وأعضاء طبقة الساموراي القدماء، وذلك لتحويلهم إلى صناعيين جدد والاستفادة من قدراتهم الفنية والإدارية التي اكتسبوها من خلال تدريبهم.

أدرك القادة اليابانيون الجدد أهمية التعليم وضرورة تطوير نظام تعليمي بوصفه جزءاً مهمّاً ومكملاً لبناء الدولة الحديثة، فسارعوا إلى إنشاء وزارة التعليم عام 1871م التي اتخذت لنفسها برنامجاً طموحاً لنشر التعليم لعامة الناس، وجعلت مسؤولية التعليم من مهمات الدولة، فأنهت المدارس الدينية (التراكويا) وحلّت

محلها المدارس الحكومية العامة، وجعلت التعليم الأساسي إلزامياً على السكان مدة ست سنوات، وتبنت في البداية نموذج التعليم الفرنسي، وتحولت عنه إلى النظام الألماني. أثبتت هذه الخطوات نجاحاً كبيراً، وارتفعت نسبة الطلبة المسجلين في المدارس من نحو 40% عام 1870م إلى 90% مع حلول عام 1900م وهذه تشكل ارتفاعاً عالياً في مدة قياسية جدّاً ومع حلول 1907م أصبح التعليم متوافراً لكل أطفال اليابان[1].

ولم يقتصر ذلك على التعليم الأولي بل تعداه إلى التعليم الثانوي والعالي، وإن كان في البداية حكراً على الذكور دون الإناث، فأنشئت جامعة طوكيو عام 1877م وجامعة (واسيدا) عام 1882م وتم تحويل (كيبو) من مدرسة خاصة إلى جامعة في 1890م، كما سنروي في الفقرة الآتية.

لقد كان قرار حكومة (ميجي) جعل التعليم في اليابان حكراً على الدولة عاملاً مهمّاً في إبعاد كثير من المؤثرات الخارجية السلبية وخصوصاً المؤسسة الدينية والأرستقراطية كما كانت عليه الحال في أوروبا، فأصبح النظام التعليمي في اليابان أكثر حرية وتقدماً عن مثيلاته في أوروبا[2].

(1) Edwin Reischaur, Japan, The Story of a Nation, 4th ed. Tutle Publishing, Boston 2004, p107.

(2) Edwin Reischaur, Japan, The Story of a Nation, 4th ed. Tutle Publishing, Boston 2004, p107.

مما لاشك فيه أن أحد العوامل المهمة في نهضة التصنيع هو توافر شبكة متكاملة من المواصلات البرية والبحرية التي تقوم بنقل المواد الأولية من أماكن وجودها إلى المصانع ونقل المواد المصنعة من المعامل إلى المستهلكين، وهذه الحاجة أكبر منها في اليابان من غيرها؛ وذلك لقلة الموارد الأولية في اليابان مقارنة بغيرها من الدول الصناعية. والرسم البياني أدناه يوضح النمو الكبير في مد خطوط السكك الحديدية في اليابان في عهد (ميجي):

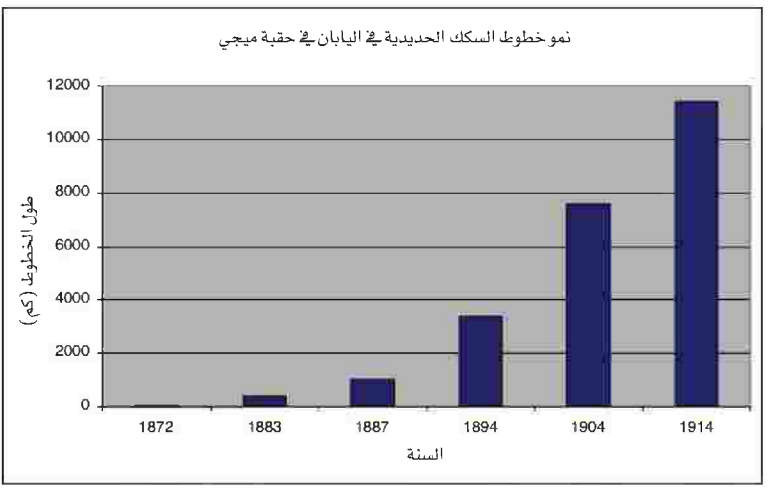

الشكل 1-4 رسم بياني يوضح النمو السريع في شبكة خطوط السكك الحديدية في اليابان بعد إصلاحات (ميجي).

ومع نمو شبكة المواصلات البرية والبحرية ازدادت الحاجة إلى الوقود، ولذلك كان العامل الأول الذي يدل على التصنيع هو استهلاك الطاقة، حيث شهدت اليابان نمواً كبيراً في إنتاج الفحم

الحجـري الذي يُعدّ المادة الأساسـية في اسـتهلاك الطاقة في ذلك الوقت، كما هو مبين في الرسم البياني:

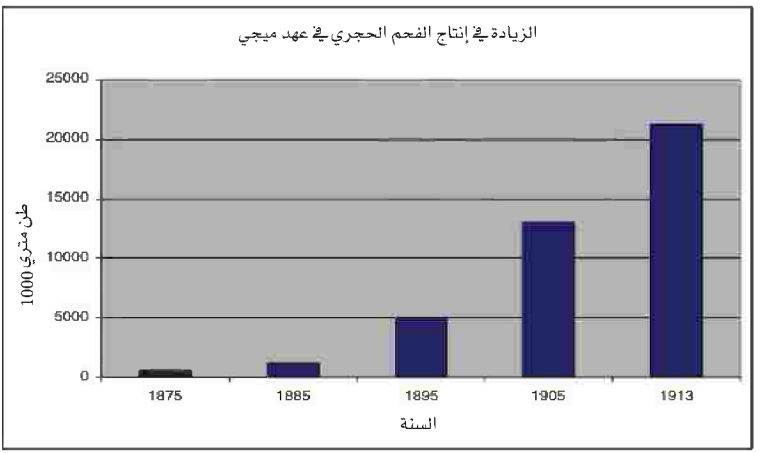

الشكل 4-2 زيادة إنتاج الفحم

3- التصنيع العسكري ونمو المؤسسة العسكرية

وضـعت الحكومـة اليابانيـة في عهد (ميجي) خطـة طموحة لبناء الجيش والتصـنيع الحربي الغاية منهـا الارتقاء باليابان إلى المكانـة التـي تمكنها مـن أن تدفع عن نفسـها الضـغوط الأجنبية، وتنهـي إلى الأبد المرحلة التي اسـتطاعت بها الـدول الغربية فرض إرادتهـا على اليابان التـي لم تجد بدّاً من القبـول بتلك المعاهدات المجحفة في حقها التي فرضت عليها بقوة المدافع. سارعت الحكومة عام 1873م إلى حل النظام العسكري القديم (الساموراي) وأبدلت

بـه نظاماً جديداً مقتبسـاً مـن الـدول الأوروبية. فقامت بتشـريع الخدمـة الإلزامية، وعملت على بنـاء الجيش على النموذج الألماني (البروسـي) وبناء القـوة البحرية على النمـوذج البريطاني. وكان من نتيجة تنامي القوة العسكرية اليابانية ما يأتي:

أ- الحرب الصينية اليابانية

ازدادت ثقة اليابان في نفسها وفي الوقت نفسه ازدادت حاجتها إلى الأسـواق والموارد الأولية فوجدت نفسـها وجهاً لوجه في منافسة مع كثير مـن القوى ذات الهيمنة الإقليميـة والعالمية، وكان أول هذه القوى الإمبراطورية الصينية التي استطاعت أن تبسط نفوذها على منشـوريا وشبه الجزيرة الكورية التي تعدّها اليابان في ذلك الزمان وربمـا إلى الآن خنجراً موجهاً إلى صـدرها. قامت القوات اليابانية بإعلان الحرب على الصـين عام 1894م، واسـتطاعت هذه القوات أن تهزم الصـين، وأن تفرض عليها عام 1895م الاستسلام والقبول بشروطها لإيقاف الحرب التي اقتضت أن تتنازل الصين لليابان عن كوريا ومنشـوريا وجزيرة فرموزا (تايـوان) وأن تفتح موانيها أمام السفن اليابانية، وأن تدفع فوق ذلك كله غرامات حرب لليابان.

ب- الحرب اليابانية الروسية

خرجـت اليابـان من حربها على الصـين، وقـد ذاقت حلاوة النصـر، وهي أكثر ثقة بنفسها من السـابق؛ وفي الوقت نفسه ظهر

منافس إقليمي آخر يطمع في ملء الفراغ الذي تركته الصين باندحارها أمام اليابان. وذلك المنافس هو روسيا القيصرية التي أصبحت في حاجة ماسة إلى الوصول إلى المياه الدافئة جنوباً، ذلك أن الميناء البحري الجديد الذي دشنته في (فلاديفوستوك) لا يصلح للملاحة في موسم الشتاء، ولذلك اتجهت صوب ميناء (بورت آرثر) في منشوريا، وبذلك تكون قد وصلت إلى نقطة الصدام مع المصالح اليابانية في المنطقة.

فشلت الجهود للوصول إلى حل عن طريق التفاوض وفي (فبراير) عام 1904 أعلنت اليابان الحرب على الإمبراطورية الروسية، ولكن الأسطول الياباني فاجأ الأسطول الروسي في (بورت آرثر) بهجوم مفاجئ بساعات قبل إعلان الحرب، وألحق به خسائر فادحة لم يستطع بعدها الأسطول الروسي الذي أفقدته الهجمة اليابانية المفاجئة توازنه استرجاع زمام المبادرة، واضطرت الصين بعد خسارة معارك عدة أخرى إلى القبول بمبادرة السلام الأمريكية، خصوصاً أن الضغوط الداخلية أخذت في التزايد؛ وذلك لأن أحداً لا في داخل روسيا ولا في خارجها كان يتوقع أن تهزم روسيا صاحبة الخبرة الكبيرة في الحروب البحرية أمام اليابان وقواتها الحديثة. وكانت نتيجة المفاوضات اتفاقية (بورتسموث) التي تنازلت بموجبها روسيا عن نصف جزيرة ساخالين لليابان، ولم تسترد سيطرتها على المنطقة حتى عام 1952 وذلك بموجب

اتفاقية سان فرانسيسكو، وكذلك حصلت اليابان على حق إيجار ميناء (بورت آرثر) مدة 25 سنة. كان الانتصار الياباني غير المتوقع كبيراً، حيث إنها المرة الأولى في العصر الحديث التي تنتصر فيها قوة آسيوية على قوة أوروبية عظمى، وأحدث تغييراً في موازين القوى العالمية، وأصبحت اليابان بمقتضاه من القوى العالمية التي يحسب لها حساب. وإن هذه الانتصارات مكّنت المؤسسة العسكرية من الإمساك بزمام الأمور داخليّاً وإحكام قبضتها على العملية السياسية.

مما تقدم يمكن أن نخلص إلى القول: إن مرحلة (ميجي) كانت مرحلة البناء الحقيقي لليابان بوصفها دولة حديثة، واستطاعت في مدة قياسية أن تنتقل باليابان من دولة إقطاعية ضعيفة وممزقة ومهددة من قبل الدول الكبرى حينذاك إلى دولة عصرية قوية ومن عداد الدول الكبرى، بل تهزم عسكريّاً بعض هذه الدول، روسيا وبعد ذلك ألمانيا. وقد تمت عملية البناء هذه على أسس متينة تمثلت في الاستفادة من تجارب الآخرين، وخصوصاً الدول الأوروبية وأمريكا وكذلك البناء على الموروث. يقول يوشيدا:

«إن تقدم الأمة في مرحلة ميجي كان ممكناً بسبب استناده إلى أساس قوي من الموروث التاريخي. فعلى سبيل المثال، فإن صفات الجدية في العمل والتقشف إنما هي صفات مأخوذة من التراث

الكونفوشي. وكذلك، فكون اليابان كانت بلداً موحداً، ويستخدم لغة واحدة كان عاملاً على القدر نفسه من الأهمية في إخراج اليابان الحديث المتطور إلى حيز الوجود»[1].

4.6.4. بعض قادة التغيير في مرحلة ميجي

كما ذكرنا، فإن الحركة التغييرية التي جاءت بالإمبراطور (ميجي) قام عليها رجال آمنوا بأهمية العمل من أجل رفعة وطنهم، وكان أغلبهم من طبقة الساموراي التي وفرت لهم التدريب النفسي والعقلي والفكري من أجل قيادة الأمة والانتقال بها هذه النقلة الكبيرة، وفي هذه العجالة نذكر سيرة بعض أولئك القادة على سبيل المثال؛ ذلك لأن عددهم كبير، وربما يضيق عن ذكر سيرتهم المجال، فنكتفي بذكر سيرة ثلاثة منهم، وهم:

أ. الأمير إيتو

يُعدّ الأمير (إيتو) من أهم القادة اليابانيين الذين أدّوا الدور المميز في إعادة بناء اليابان في حقبة حكم (ميجي) والذين كان لهم الأثر الواضح في تشكيل البنية الأساسية في اليابان الجديد. ولد عام 1841 في عائلة من الساموراي في مقاطعة (تشوشو) الواقعة في غرب اليابان. عام 1863 أرسل مع أربعة من أقرانه من المقاطعة

(1) Shigeru Yoshida, Japan's Decisive Century 1867-1967, Praeger, New York (1967), p 17.

إلى بريطانيا للدراسة في جامعة لندن تحت إشراف الأستاذ (الكسندر وليامسون) في وقت كان الاتصال بالغرب، ناهيك على السفر للدراسة، من أكبر المحرمات في زمن حكم الإقطاع. تركت الرحلة الدراسية في نفس (إيتو) أكبر الأثر، وأقنعته بأهمية إعادة بناء الأنظمة في اليابان على أسس حديثة والاستفادة من التجربة الأوروبية المتقدمة في مختلف المجالات. في العام اللاحق عاد السيد (إيتو) ليعمل في المقاطعة، ثم انتقل منها إلى طوكيو للعمل في الخارجية. عام 1871 أرسل للعمل مع بعثة (إيواكورا) الدبلوماسية التي كانت من أهم البعثات التي أرسلتها اليابان إلى الغرب.

في أثناء تلك الرحلة نال (إيتو) إعجاب السيد (أوكوبو توشيميتشي) وهو من أقرب المقربين إلى الإمبراطور وأحد النبلاء الثلاثة الذين وضعوا ونفذوا خطة توحيد اليابان وإعادة السلطة للإمبراطور بوصفها الرد الوحيد على التحديات الغربية. عاد إلى أوروبا ثانية عام 1882 في رحلة هدفها دراسة الدساتير الأوروبية وملاءمتها للبيئة اليابانية، وهو الذي قرر أن الدستور المعمول به في بروسيا هو الأكثر ملاءمة لليابان؛ لأنه خلافاً للدستور البريطاني الذي يمنح الملك سلطات رمزية، فإنه يمنح الإمبراطور صلاحيات واسعة في الإشراف على عمل السلطتين التنفيذية والتشريعية. ولذلك كلف بوضع مسودة الدستور الياباني والقانون الخاص

بالقصـر الإمبراطوري ونظام الوراثة، إضافة إلى وضع نظام عمل الحكومة وشكلها ومسؤولياتها.

يقول في شرح مهمته في حديث له مع الرحالة المسلم عبدالرشيد إبراهيـم الذي التقاه عام 1907م: «أما أنـا فذهبت إلى أوروبا على رأس وفد لدراسـة دساتيرها. كنا خمسـة، درسنا أصول الحكم في الدول الأوروبية صـغيرها وكبيرها، عرفنا محاسنها ومساوئها، ثم عملنا على ترجمتها إلى اللغة اليابانية ونشرها. كانت مهمتي صعبة جـدّاً. قـال لي الإمبراطور: إن حيـاة البلاد هي في هذا الدسـتور، يجـب ألا يكون مجرد تقليـد للأوروبيين، بل يجـب أن يكون موافقاً لطبيعـة الأمة وأخلاقها، فكل المسـؤولية تقع عليك، إن حياة البلاد أمانة في ضميرك، ستكون مسؤولاً عن كل شيء... استغرقت جولتي في أوروبا ثلاث سنوات كاملة وبعد عودتي عملت مدة خمس سنوات علـى تنظيمها وتنسـيقها، ثـم كلفت عشـرة من الرجـال بالتجول داخل البلاد لشرح أصول الانتخاب ولتقديم التجربة الفعلية لعملية الانتخـاب، فتجول هؤلاء في الولايات والمدن، وجندوا بدورهم رجالاً تجولوا في القرى، وبذلت جهود كبيرة في هذا المجال.

ومـن جهة أخرى أرسـلنا نحو مئتـي طالب إلى بلـدان العالم المختلفة بعد أن طلبنا منهم أن يعمل كل عشرين طالباً في اختصاص معين وكسـب الخـبرة العملية في مجـال الاختصـاص. عملنا بهذه

الصـورة. لا بـد أن يكون العمل شـاقّاً، ولكن النتيجة أسـفرت عن نجـاح باهر»[1]، من أجل ذلك، فلا غـرو أن يكلفه الإمبراطور عام 1885 برئاسـة الـوزارة اليابانية الأولى. لم تكن تلـك المرة الأخيرة التي يشـكل فيها الأمير إيتو الحكومة، بل هي الأولى من أربع مرات في السنوات 1892 و1898 وأخيراً عام 1900.

كان الأمـير (إيتو) يطمح لإيجاد حل لمشـكلة قلة مسـاحة الأرض في اليابـان ونقص المـوارد الطبيعية، ولذلك وجد أن الحـل الوحيد هو بالتوسع في اتجاه شبه الجزيرة الكورية والصين. وعام 1905 عين حاكماً لكوريا وعام 1908 اغتيل في الصين من قبل أحد المعارضين الكوريين.

ب- شيغنوبو أوكوما مؤسس جامعة واسيدا

إن قصـة الأمير (إيتو) ليسـت الوحيدة في اليابان، بل هناك العشـرات، لا بـل المئات مـن أمثالها عن قـادة التحـول الياباني أو النقلـة الثقافيـة اليابانية التي قادهـا جيل من أبناء السـاموراي، وللتدليـل على ذلك نأخذ المثـال الثاني من حياة السـيد (أوكوما) مؤسس جامعة (واسيدا)، فمن هو، وكيف أسس الجامعة؟

ولد (شيغنوبو أوكوما) عام 1838 الابن الأكبر لإحدى عائلات السـاموراي، وكأي مـن أقرانه من أبناء السـاموراي، فقد درس في

(1) العالم الإسلامي في رحلات عبدالرشيد إبراهيم، ترجمة: صبحي فرحات وكمال خوجة، دار القبلة، ٢٠١١، الجزء الأول، ص 314.

المدرسة الخاصة بأبناء الساموراي في تلك الإقطاعية، لكنه لم يتقبل جميع التعليمات التي كان يجب أن يتعلمها، ولذلك فقد طرد من المدرسة. وكانت تلك منحة مغلفة بمحنة، كما تقول الحكمة اليابانية، حيث قادته أقداره إلى إحدى المدارس الأوروبية التي افتتحها المنصرون في مدينة (ناكازاكي). وهناك اكتسب خبرة كبيرة، وإن لم يكن يدرك أهميتها بعد، في وسائل التعامل مع الأوروبيين. وأدرك أهمية التعرف إلى وسائل التخاطب مع الغربيين بوصفها وسيلة مهمة لنقل خبرتهم التي تحتاج إليها اليابان في بناء نفسها، ولذلك قام بفتح مدرسة لتعليم اللغة الإنجليزية في (ناكازاكي). لكن خبرته في هذا المجال حان وقتها مع وصول الإمبراطور (ميجي) إلى الحكم، حيث انتقل إلى طوكيو للعمل في وزارة الخارجية.

ولم يمضِ وقت طويل حتى ظهرت قدرات (أوكوما) في التعامل مع الغربيين، وذلك في أثناء المفاوضات التي أجرتها اليابان مع بريطانيا ممثلة في وزير خارجيتها (السير هاري سميث)، ما أكسب (أوكوما) خبرة كبيرة بوصفه أحد القادة المتنورين في ثورة (ميجي). تنقل (أوكوما) بعدها بين وزارتي الخارجية والمالية ليتولى وزارة المالية عام 1873م وليصبح العقل المدبر وراء بناء القطاع المالي الياباني، حيث وضع النظم الأساسية التي قام عليها

الاقتصـاد الياباني، ومن أهمها وضع نظام العملة اليابانية (الين) ووضـع أنظمـة البنوك والمصـارف، ووضـع نظام الموازنـة وأنظمة الضـرائب والبريـد، وغيرهـا من الأنظمة الأساسـية التي شـكلت البنيـة التحتية للنهضـة الاقتصـادية اليابانيـة. وكان من الخبراء الدسـتوريين في اليابـان، حيـث تخصـص في النظـام الدسـتوري البريطاني، ودعا إلى تطبيقه في اليابان، وهي القضية التي أكسبته عـداوة كثير من السياسـيين، ومن أهمهم (إيتو) الذي كان رئيسـاً للـوزراء، الذين كانـوا يميلون إلى النظـام الإمبراطوري المعمول به في بروسـيا آنذاك، ولذلك أسـس الحزب التقدمي الدستوري عام 1882 الذي يدعو إلى تلك الأفكار. وفي السـنة نفسـها أسـس السيد (أكومـو) كلية في منطقة (واسـيدا) في طوكيو، وهي التي صـارت تعرف فيما بعد بجامعة (واسـيدا). وعلـى الرغم من خلافاته مع رئيس الوزراء (إيتو) إلا أنه أصـبح وزيراً للخارجية في أربع وزارات في الأعوام 1888، 1886، 1896، 1915، وأصـبح رئيساً للوزراء مرتين عام 1998 في حقبة حكم ميجي وعام 1914 في حقبة حكم الإمبراطور (تايشو). توفي (أوكومو) عام 1916.

أما قصـة تأسـيس الجامعة، فنذكرها هنا كما رواها بنفسه للرحالة المسـلم عبدالرشيد إبراهيم عند زيارة الأخير له في منزله في طوكيو عام 1907: «لي مؤسسـة تعليمية أسسـتها بنفسي يدرس بالقسـم الجامعي منها خمسـة آلاف طالب. وفي القسـم الإعدادي

ثلاثة آلاف، والمجموع ثمانية آلاف، فيهم من الطلبة الصينيين،... إن هدفي من إنشاء هذه المؤسسة هو تربية العنصرين (الصينيين واليابانيين) في مدرسة واحدة لجلب التآلف بينهما. وكانت المؤسسة في أول افتتاحها لا تسع سوى مئة وخمسين طالباً، أما الآن فقد وصل العدد إلى ثمانية آلاف. وقبل ثلاث سنوات افتتحت قسماً خاصّاً بالبنات. فإذا وفقنا في مسعانا، فإننا سنوحد هذين القسمين»[1].

ج- السيد فوكوزاوا مؤسس جامعة كيو

أما المثال الثالث والأخير فهو السيد (يوكيتشي فوكوزاوا) الذي كان له الدور الريادي في إصلاح النظام التعليمي في اليابان وإحداث تغييرات جذرية في نظام التعليم، فمن السيد (فوكوزاوا)؟

- ولد السيد (فوكوزاوا) لعائلة فقيرة من عائلات الساموراي في مدينة (أوساكا) عام 1835م. وتوفي والده في صغره، فأصبح تحت رعاية أخيه الأكبر الذي وجهه لدراسة الفلسفة الصينية والكونفوشية.
- عام 1854م وصلت سفن البحرية الأمريكية بقيادة (الكومودور بيري) التي منحت اليابان مهلة سنة لفتح موانيها أمام السفن الأمريكية. فكرت القيادة آنذاك في وسائل تمكنها من

(1) العالم الإسلامي في رحلات عبدالرشيد إبراهيم، ترجمة: صبحي فرحات وكمال خوجة، دار القبلة، ٢٠١١، الجزء الأول، ص٢٣٤-٢٣٥.

الصمود أمام الضغوط الأمريكية، ولذلك أمر الشقيق الكبير لـ(فوكوزاوا) أخاه الأصغر بالسفر إلى مدينة (نكازاكي) لتعلم اللغة الهولندية وصناعة المدافع من الهولنديين في جزيرة (ديجيما الهولندية)، وبالفعل سافر إلى هناك، لكن لم يطل به المقام، فعاد أدراجه إلى مدينة (أدو).

- عندما قامت اليابان بفتح ثلاثة من موانيها أمام السفن الغربية في العام المقبل، قرر السفر إلى أحد هذه الموانى، وتعلم اللغة الهولندية. وبالفعل، فقد اختار ميناء (كاناغاوا) وحط فيه رحاله، وسرعان ما اكتشف أن التجار الغربيين لا يتكلمون الهولندية، بل الإنجليزية، ولذلك عزم على تعلم هذه اللغة.

- سنحت له فرصة نادرة، عندما أرسلت حكومة الإقطاع (توكوغاوا) بعثة دبلوماسية إلى الولايات المتحدة، فقرر التطوع لمصاحبتها، وبالفعل فقد وصل إلى سان فرانسيسكو عام 1860 ومكث فيها شهراً انكب فيه على تعلم اللغة الإنجليزية، وحصل من هناك على نسخة من قاموس (وبستر) الإنجليزي الذي وجد فيه ضالته، فتفرغ لتعلمه.

- عاد إلى اليابان في السنة نفسها، وعينته حكومة (توكوغاوا) مترجماً رسمياً للغة الإنجليزية، وفي العام نفسه أصدر كتابه الأول الذي هو عبارة عن قاموس إنجليزي-ياباني.

- سافر إلى أوروبا عام 1862م مع البعثة الدبلوماسية اليابانية إلى أوروبا، ومكث معها سنة دوّن فيها الكثير من المشاهدات والملاحظات حول الحياة الغربية ليعود بعدها إلى اليابان، ويبدأ إصدار سلسلة من الكتب عنوانها (الأشياء الغربية) صدر منها عشرة مجلدات.
- أصبح الخبير الأول في اليابان عن الغرب، وأدرك أهمية توعية الشعب الياباني بطبيعة الغرب ووسائله والاستفادة مما عندهم من علوم ومعارف، من أجل ذلك جعل هدف حياته تثقيف الشعب الياباني بالعادات وأساليب التعامل الغربية.
- عام 1868 غيّر اسم المعهد اللغوي الذي افتتحه لتدريس اللغة الهولندية إلى مدرسة (كييو) للدراسات الغربية. وعام 1890م تحول المعهد إلى جامعة (كييو).
- تُعدّ جامعة (كييو) من أقدم الجامعات وأرقاها في اليابان اليوم، وفيها أكثر من ثلاثين ألف طالب وطالبة في مختلف نواحي العلوم. وقد تخرج فيها كثير من كبار المسؤولين منهم رؤساء وزراء، مثل (هاشيموتو) و(كوئيزومي).
- عام 1886م ألقى السيد (فوكوزاوا) خطبته المشهورة التي شرح فيها نظرته للتعليم والتي هي رسالة الجامعة: «لن أكتفي بجعل (كييو) مدرسة للتعليم فقط، وإنما أطمح أن

أجعل منها منصة لبناء الشخصية النبيلة، ونموذجاً للفكر والأخلاق لجميع الشعب الياباني»[1].

- من أقواله المشهورة التي تعكس إيمانه القوي بأهمية التعليم في بناء الإنسان: «يقولون: إن السماء لا تخلق إنساناً أعلى أو أقل شأناً من إنسان آخر، وأي فروق نشاهدها بين الحكيم والغبي، الغني والفقير إنما تعود إلى شيء واحد، وهو التعليم».
- توفي عام 1891م، وصورته تزين ورقة العشرة آلاف ين.

الشكل **3.4**. عملة العشرة آلاف ين على صدرها صورة السيد (فوكوزاوا).

5.6.4. اليابان بين الحربين العالميتين

1.5.6.4. حقبة تايشو وازدهار الديمقراطية

- انتهت حقبة (ميجي) بوفاة الإمبراطور في 30 (يوليو) 1912م، وابتدأت حقبة جديدة بتسلّم ولي عهده الأمير (يوشيهيتو)

(1) www.keio.ac.jp.

المولود في 31 (أغسطس) 1879 الحكم، واختار الاسم (تايشو) لحقبة حكمه.

- أصيب الأمير في طفولته بمرض السحايا التي تركت آثارها على الإمبراطور، وحدّت من قدراته الفكرية لدرجة أنه لم يتمكن من إكمال الدراسة في المدارس؛ ولذلك كان تعليمه عن طريق المدرسين الخصوصيين في القصر الإمبراطوري، ولأنه كان مولعاً بتعلم اللغات، فقد تعلم الفرنسية والصينية. وقد أثرت حالته الصحية في حياته، فكان يميل إلى العزلة والانطواء إلا في حالات الضرورة.
- ولد للإمبراطور أربعة أولاد أكبرهم ولي العهد (هيروهيتو) وأصغرهم الأمير (ميكاسا)[1].

امتازت حقبة حكم (تايشو) بحدثين كبيرين، هما: الحرب العالمية الأولى وزلزال (كانتو) الكبير.

أ- الحرب العالمية الأولى:

عام 1914 بدأت بوادر الحرب العالمية الأولى في أوروبا، وما لبثت بريطانيا أن طلبت من حليفتها اليابان التي ترتبط معها

(1) ولد الأمير (ميكاسا) عام 1915 وهو أستاذ التاريخ المعروف والرئيس الأسبق لجمعية التاريخ اليابانية الذي زار العراق مرتين الأولى عام 1956 ونزل ضيفاً على الأمير عبد الإله مدة زادت على العشرين يوماً، ودشن فيها أول بعثة آثار يابانية إلى العراق، والثانية عام 1978م التي نزل فيها ضيفاً على نائب رئيس الجمهورية طه محيي الدين معروف.

باتفاقية الدفاع المشترك عام 1902م التي جعلت اليابان في موقع المسؤولية عن جنوب شرق آسيا بالنسبة إلى المملكة المتحدة أن تساعدها على إنهاء الوجود الألماني من المنطقة. ومن الجدير بالذكر هنا أن ألمانيا كانت كغيرها من الدول الكبرى ذلك الوقت استغلت حالة الضعف والتمزق في الصين لتفرض عليها معاهدات، وتحصل منها على تنازلات إستراتيجية واقتصادية كبيرة. فعلى سبيل المثال فرضت ألمانيا على الصين التنازل عن خليج (كياو جاو) الإستراتيجي وميناءه المهم (تسنغ تاو) وألمانيا فرضت على اليابان التنازل عن ميناء (بورت آرثر) لمصلحة روسيا. ولذلك لم تنسَ اليابان ذلك، فسارعت بعد اندلاع الحرب في أوروبا إلى أن تقدمت لألمانيا بإنذار في 15 (أغسطس) 1914م منحت بموجبه ألمانيا مهلة محددة لعمل ما يأتي:

- الانسحاب الفوري من المياه الصينية واليابانية.
- تسليم منطقة (تسنغ تاو) فوراً إلى اليابان وإعادتها إلى السيادة الصينية في موعد لا يتجاوز 15 سبتمر.

بطبيعة الحال لم تأبه ألمانيا بالتهديدات اليابانية، ولم تكلف نفسها عناء الرد عليها، فأعلنت اليابان الحرب على ألمانيا، وهاجمت أسطولها، واستطاعت أن تنهي الوجود الألماني، وتفرض سيطرتها على منشوريا ومنغوليا. وعام 1917م توسعت منطقة

عمليات البحرية اليابانية في مساعدة البحرية البريطانية لتشمل منطقة (كيب تاون) في جنوب إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط. وعندما عقد مؤتمر السلام في (فرساي) شاركت اليابان مع الأطراف الرئيسة: بريطانيا، والولايات المتحدة، وفرنسا وإيطاليا. تقدمت اليابان في المؤتمر بمقترح لإضافة فقرة تضمن المساواة بين الأعراق، لكن المقترح جُوبه بمعارضة من الولايات المتحدة وغيرها؛ ولذلك لم يعتمد.

خرجت اليابان من الحرب مع المعسكر المنتصر، وأخذت مكانتها بين الدول الكبرى. وكانت المكاسب الكبيرة التي جنتها اليابان من الحرب، على الرغم من أن مشاركتها الفعلية ليست بالكبيرة، ولم تكن تقارن بأي حال بأدوار الدول الأوروبية التي تحملت العبء الأكبر من الحرب، إلا أن ذلك لم يمنع اليابان من الجلوس مع المشاركين الكبار، وذلك لم يمنع المؤسسة العسكرية من تجيير النصر العسكري لمصلحتها في المعترك السياسي الداخلي الذي نشأ نتيجة للفراغ الذي تركته وفاة الإمبراطور (ميجي) وصعود ابنه الإمبراطور (تايشو) الضعيف. ذلك أن وفاة الإمبراطور (ميجي) تركت آثاراً بعيدة على نمط إدارة الدولة، وأدت إلى نشوء صراع بين مراكز القوى الكثيرة وعلى رأسها البرلمان الياباني والجهاز البيروقراطي الذي كان بنفسه منقسماً إلى مراكز قوى، وكذلك

الجيش والمؤسسة العسكرية. وإضافة إلى ذلك، فكون المساهمة اليابانية في الحرب كانت محدودة جعلت آثارها على نمو الاقتصاد الياباني محدودة، فكان النمو الاقتصادي محدوداً مدة قصيرة جدّاً. وكأن المشكلات السياسية والاقتصادية القائمة آنذاك لم تكن كافية، فقد حلّت باليابان كارثة طبيعية لم تكن في الحسبان.

ب- زلزال كانتو الكبير:

كما ذكرنا في الفصل الأول، فإن الأرخبيل الياباني يقع على تقاطع الألواح القارية، بل إن هذه الجزر الكثيرة التي تشكل الأرخبيل ما هي إلا نتاج كثير من الفعاليات الزلزالية على مر الملايين من السنين. إذن، فإن الزلازل أمر طبيعي في حياة الإنسان في اليابان، إذ تتعرض الجزر اليابانية إلى ما يقارب عشرة آلاف زلزال في السنة منها الضعيف الذي تتحسس به أجهزة الأرصاد فقط وأخرى تكون من القوة وفي موقع يحدث أضراراً في النفوس والممتلكات. ولعل من أشهر الزلازل التي ضربت اليابان في تاريخها كان زلزال (كانتو) ففي الأول من (سبتمبر) 1923م وقبل دقيقتين من وقت الظهيرة ضرب الجزيرة الكبيرة (هونشو) زلزال عظيم (قدر فيما بعد بأنه كان بقوة تراوحت بين 7,9 – 8,4 على مقياس ريختر). دمر الزلزال مدينتي (طوكيو) و(يوكوهاما) وكذلك المحافظات المجاورة، وهي (تشيبا) و(كاناغاوا) و(شيزوكا).

ولقد بلغت أعداد ضحايا الزلزال الذي يُعدّ أكبر كارثة طبيعية في القرن العشرين نحو 140 ألف قتيل، وتسبب في تدمير كامل لأعداد لا تحصى من المباني والمرافق العامة. وكان ما زاد في الطين بلة الحرائق التي نشبت بسبب الزلزال الذي ضرب المدينة عند الظهيرة في الوقت الذي يقوم فيه كثير بطبخ وجبة الغداء، وما ساعد على انتشار النيران أن المنطقة كانت تحت تأثير رياح إعصار كبير ساعد على سرعة انتقال النيران التي كانت السبب الأول في ارتفاع أعداد الضحايا إلى تلك الأعداد الكبيرة.

2.5.6.4. حقبة شوا وصعود العسكر:

تُعدّ حقبة حكم الإمبراطور (شوا) من أهم الحقب في تاريخ اليابان الحديث، ذلك أننا إذا اعتبرنا حقبة الإقطاع بمنزلة مرحلة التأسيس، وحقبة (ميجي) مرحلة البناء الحقيقي لليابان، فإن الجزء الأول من حقبة (شوا) التي امتدت بين عامي 1921م عندما صار (هيروهيتو) وصيّاً على العرش ونهاية الحرب العالمية الثانية، حقبة الصعود الكبير للقوة العسكرية التي أدت إلى دمار اليابان وتخريب كل ما تم بناؤه في تلك العقود الطويلة في سنين قصيرة.

فمن الإمبراطور (شوا)؟:

- ولد الأمير (هيروهيتو) في 29 (إبريل) عام 1901 وهو الابن الأكبر للإمبراطور (تايشو).

- بعد إنهائه الدراسة الجامعية والدراسة الخاصة سافر ولي العهد إلى أوروبا في رحلة استغرقت ستة أشهر زار خلالها بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وهولندا وبلجيكا.
- عام 1921 وبعد اشتداد المرض بوالده الإمبراطور (تايشو) أصبح الأمير (هيروهيتو) وصيّاً على العرش. وفي أثناء حقبة الوصاية حدثت كثير من الأحداث المهمة، منها:

أ- الاتفاقية الرباعية بين اليابان والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا التي أقرت الأوضاع القائمة في المحيط الهادي.

ب- قررت اليابان وبريطانيا إنهاء العمل باتفاقية الدفاع المشترك.

ج- تم إبرام اتفاق واشنطن الذي أتمت بموجبه اليابان انسحابها من سيبريا.

د- زلزال كانتو.

هـ- في 5 (إبريل) تم إصدار قانون الانتخاب العام الذي منح الرجال من عمر 25 سنة فما فوق حق الاشتراك في الانتخابات، مع العلم أن حق الانتخاب كان منذ العشرينيات حكراً على دافعي الضرائب فقط ما جعل حق التصويت حكراً على الأغنياء وملاك الأراضي.

- في 20 (ديسمبر) 1926م أصبح (هيروهيتو) إمبراطوراً على اليابان بعد وفاة والده، واتخذ حقبة حكمه اسم (شوا) التي تعني (السلام المتنور).
- تزوج عام 1924 وولد له خمس بنات وولدان هما ولي العهد، إمبراطور اليابان الحالي الأمير (آكيهيتو) المولود عام 1933م، والأمير (هيتاتشي).
- اتهم الإمبراطور بارتكاب جرائم حرب، وبأنه المسؤول الأول عن الجرائم التي ارتكبها الجيش الياباني في أثناء الحرب العالمية الثانية وقبل ذلك في المستعمرات اليابانية، وبأنه المسؤول الأول عن وضع سياسة الجيش التي كانت تقوم على المقولة: «اقتل الجميع، أحرق الجميع، انهب الجميع».

سيطرة المؤسسة العسكرية:

كانت كوريا تشكل نقطة الاهتمام الأولى في الإستراتيجية العسكرية اليابانية في حقبة حكم (ميجي) وأول حقبة حكم (تايشو) وربما يعود ذلك لكون الإستراتيجية في هاتين الحقبتين كانت دفاعية في طبيعتها. ولكن مع الانتصارات التي حققتها اليابان في النزاعات العسكرية، كالحروب مع الصين وروسيا وانتهاء بالحرب العالمية الأولى جعلت اليابان تتذوق حلاوة النصر التي بدورها وضعت المؤسسة العسكرية في موضع القوة. ولذلك، ومع حلول العقد الثالث من القرن العشرين تغيرت الإستراتيجية

العسكرية اليابانية بسبب قناعة القادة اليابانيين بأن السلام الذي أنتجته الحرب العالمية الأولى لن يدوم طويلاً، ولذلك فقد وضعت إستراتيجية جديدة مبنية على أساس (إعداد اليابان داخليّاً وخارجيّاً لحرب عالمية من المؤكد أنها سوف تأتي عاجلاً أم آجلاً).

وبسبب هذه الإستراتيجية الجديدة، فقد أصبحت منشوريا محط الاهتمام الأول للقادة العسكريين في اليابان، وذلك في سبيل إقامة دائرة نفوذ يابانية قادرة على الاعتماد كليّاً على إمكاناتها ومواردها الذاتية في سبيل الاستعداد للحرب العالمية المقبلة، وكان لا بد لهذه الحسابات أن تشمل منشوريا، وهي المنطقة الغنية بمواردها الطبيعية وخصوصاً الحديد والفحم»[1].

ولكن حصل ما لم يكن في حسبان قادة العسكر اليابانيين، وذلكم هو الكساد الاقتصادي العالمي الذي أصاب أكبر الاقتصادات في العالم، وعبارة (الكساد) تطلق على الدورة الاقتصادية التي تتمثل في مرحلة طويلة من الانكماش الاقتصادي (أي النمو السلبي)، ويُعدّ الكساد العالمي الذي حصل في حقبة الثلاثينيات الأسوأ في التاريخ، حيث شلّ أغلب الاقتصادات العالمية وخصوصاً الولايات المتحدة. فعلى سبيل المثال أعلن أكثر من 11 ألف بنك أمريكي (أي 44% من عدد البنوك الأمريكية) إفلاسها في المدة من

(1) Peter Duus, The Rise of Modern Japan, Houghton Mifflin, Boston, 1976, p 202.

1931-1929، مـا أدى إلـى اختفاء مليارات الـدولارات من الودائع. أمـا القطاع الزراعي فلم يكن أحسـن حالاً من القطاع المالي، حيث هبطت أسعار المزارع بنسبة 53% عما كانت عليه في حقبة قصيرة، مـا أدى إلى ارتفاع معدلات البطالة ارتفاعـاً كبيراً، وما زاد الطين بلـة أن الولايات المتحدة تعرضـت لموجة شـديدة مـن الجفاف بين 1934 و1936م أدى إلى نقص كبير في المحاصـيل وارتفاع شـديد في أسعار السلع الأساسية[1].

وشمل الكسـادُ الاقتصـادَ الياباني حاله حال الدول الأخرى، وإن كان بدرجـة أقل مـن تلك التي كانت عليها الحـال في الولايات المتحـدة، فعلى سـبيل المثال، فإن اليابان شـهدت هبوطـاً كبيراً في أسـعار الرز، وهو المحصـول الأساسـي في اليابان بنسـبة أكثر من النصـف عام 1931م ولم تكن أسـعار الحرير، وهو المادة المصـنعة الأساسـية في اليابان التي تدر عليها بالعملة الصـعبة، بأفضل من ذلك، فارتفعت معدلات البطالـة، وهاجر العمال إلى القرى. وخير من وصـف الحـال في اليابان آنـذاك أحد باعة الجملـة من مدينة (كيوتو) الذي قال: «لقد تعودنا على هبوط الأسعار، فأصبحنا نبيع البضـاعة التي سـعرها مئة ين بثمانين، لا لشـيء ألا لأننا نريد أن نأكل. نحن لسنا سوى مجموعة من الكائنات الجائعة»[2].

(1) Encyclopedia Americana, vol. 13 pp. 344-345.

(2) Peter Duus, The Rise of Modern Japan, Houghton Mifflin, Boston, 1976, p 203.

لكن هذا كله لم يغير من موقف المؤسسة العسكرية وتوجهاتها تجاه منشوريا، ولذلك عمدت إلى تدبير حادثة تفجير خط السكة الحديد في 18 (سبتمبر) 1931م من قبل جيش (كوانتنغ)، الذي هو الجيش الياباني في (منشوريا)، واتخذت من تلك الحادثة ذريعة للتوسع في احتلال (منشوريا) حيث قامت بعد ذلك بإعلان استقلال شكلي لمنشوريا تحت اسم (مانتشوكو) ووضعتها تحت السيطرة اليابانية الكاملة، وقد جوبهت سياسية اليابان واحتلالها أراضي (منشوريا) باستنكار عالمي وخصوصاً من الولايات المتحدة وأوروبا التي رأت في السياسة اليابانية توسعاً استعماريّاً يهدد مصالحها في المنطقة، وانتقدت عصبة الأمم الساسة اليابانيين ما اضطر اليابان إلى الانسحاب من عصبة الأمم احتجاجاً على موقفها من استنكار السياسة اليابانية في (منشوريا)[1].

كان من نتائج المتاعب الاقتصادية والاندفاعات العسكرية في (منشوريا) والموقف الغربي المعارض للسياسة اليابانية زيادة سيطرة العسكر على مقاليد الأمور في اليابان. ولم تقتصر هذه السيطرة على العسكر فحسب، بل نشأت عند عامة الشعب مشاعر قوية في اتجاه تأييد العسكر تحت ضغط الخوف من الأفكار الهدامة والأخطار الخارجية، مثل الخطر الشيوعي القادم من روسيا وغير ذلك من الأفكار التي تهدد البنية الاجتماعية، إضافة إلى آثار الحملة

(1) Peter Duus, The Rise of Modern Japan, Houghton Mifflin, Boston, 1976, p 303.

الإعلامية التي قامت بها الحكومة اليابانية في سبيل إذكاء المشاعر الوطنية، وهذه بدورها مكّنت المؤسسة العسكرية من تبرير سياساتها الاستعمارية والقهرية في منشوريا وكوريا بأنها لأسباب دفاعية محضة، وأنها إنما تريد من وراء هذه السياسات أن تحقق الاستقرار العالمي الذي لن يتحقق إلا بإخضاع العالم لسلطة الإمبراطور.

على أن هذه الأفكار لم تكن وليدة الساعة، وإنما كانت وراءها كثير من الجماعات اليمينية المتطرفة التي نشأت تحت شعارات مبهمة منها رد الاعتبار للإمبراطور وإعادة صلاحياته التي سلبها منه المدنيون بحسب ادعائهم، ومن هذه المنظمات واحدة استهدفت صغار الضباط وعبأتهم بالمشاعر اليمينية المتطرفة، واتخذت هذه الجماعة الإرهاب وسيلة لتصفية العناصر التي لا تتفق معها أو تتجرأ على معارضة آرائها. فكان أن قامت باغتيال رئيس الوزراء عام 1930م وقامت بمحاولتي انقلاب في العامين اللاحقين[1] وبلغت حوادث العنف السياسي بين عامي 1921و 1944 أكثر من أربع وستين حادثة، واضطر الإمبراطور إلى أن يقود بنفسه الحملة العسكرية للقضاء على إحدى هذه المحاولات. ومع أن الجيش لم يكن مسؤولا عن هذه الأحداث مسؤولية مباشرة ألا أن هذا لم يمنعه من استغلالها لحشد الرأي العام ضد منافسيه من دعاة المسؤولية

(1) Peter Duus, The Rise of Modern Japan, Houghton Mifflin, Boston, 1976, p -210-211.

المدنية وأنصـار العملية الديمقراطية، فمثلاً عند إقامة المحاكمات للمتورطـين في الأحـداث الإرهابية جعلت المحاكمـات علنية، وكان يسـمح لهـم بإلقاء الخطـب الطويلـة والرنانة التي تمجـد اليابان والإمبراطـور، وتدين الضـحايا حتى تحولت المحاكمـات إلى إدانة للضحايا بدلاً من إدانة المتورطين[1] ومما ساعد المؤسسة العسكرية أن دسـتور (ميجي) منح قيادتي الجيش والبحرية حق النقض فيما يتعلق بتشـكيل الحكومة وقراراتها المهمة. وقد اسـتخدمت القيادة العسـكرية هـذا الحق في فرض إرادتها على المؤسسـة السياسـية وبالتحديد على السياسـتين المالية والخارجية وتجييرهما لمصـلحة مغامراتهـا العسـكرية وطموحاتها التوسـعية التـي أوردت اليابان الهلاك أو أوشـكت على ذلك في مناسبات عدة، كان أكبرها دخول اليابان الحرب العالمية الثانية والطريقة التي أديرت بها الحرب.

وهنا لا بد من أن نذكر أن الصراعات المسلحة والحروب ما هي إلا وسائل لتحقيق أهداف سياسية بوسائل عسكرية، كما يقول خبراء الإستراتيجيات، ولكن يحصل العكس أحياناً، عندما تصبح المؤسسة العسكرية هي الممسكة بالقرار السياسي، وعند ذلك تصبح الحروب غايات، وليست وسائل، وتصبح الأمم مصانع لتفريخ الجنود وإمداد العسكر بالمدد اللازم لإدامة دوامة حروب لا نهاية لها.

(1) Edwin Reischaur, Japan, The Story of a Nation, 4th ed. Tutle Publishing, Boston 2004, p162.

ولكي تتمكن المؤسسة العسكرية من إحكام قبضتها على زمام الأمور لجأت، مثل مثيلاتها في أوروبا النازية أو إيطاليا الفاشية أو الأفكار المكارثية في الولايات المتحدة، إلى الحد من الحريات العامة ومنع السلوك المنافي للوطنية وفرض الحظر على الأفكار الهدامة التي تتعارض مع كل ما لا يتفق مع ما تريده المؤسسة العسكرية، فلجأت إلى فصل أساتذة الجامعات الذين يحملون أفكاراً هدامة بحسب رأيها، وكذلك إلى حشو الكتب المدرسية بالأفكار الشوفينية التي من شأنها حشد تأييد الجماهير وراء طبول الحرب التي كانت تضرمها.

القسم الثالث: سنوات الدمار، اليابان في الحرب العالمية الثانية

7.4. الحرب العالمية الثانية

بدأ الإعداد للحرب العالمية الثانية أول ما بدأ بتوقيع اليابان اتفاقية (العمل المشترك ضد المد الشيوعي العالمي) مع ألمانيا النازية، وذلك في 25 من شهر (نوفمبر) عام 1936، حيث نصت مقدمة الاتفاقية على ما يأتي:

«باعتبار أن هدف الحركة الشيوعية العالمية هو استخدام كل الوسائل المتاحة بيدها في سبيل تمزيق الدول واستعبادها، وهذا في اعتقادنا لا يشكل تهديداً للأوضاع الداخلية والسلم في تلك الدول فحسب، وإنما يتعداه ليشكل تحدياً صارخاً للسلم العالمي، وهذا يتطلب تعاوناً مشتركاً في التصدي لتلك الأنشطة الشيوعية الهدامة».

والاتفاق بين الدولتين نص على ما يأتي:

أ- التشاور والتعاون لحفظ المصالح المشتركة في حالة تعرض أي من الدولتين لاعتداء من قبل الاتحاد السوفيتي.

ب- يتعهد الطرفان بعدم الدخول في اتفاقية مع الاتحاد السوفيتي.

ج- قررت ألمانيا الاعتراف بدولة (مانتشوكو) وهي الحكومة الصورية التي نصبتها اليابان في منشوريا.

وفي السادس من (نوفمبر) عام 1937م انضمت إيطاليا إلى المعاهدة بين ألمانيا واليابان، وبذلك شكلت (دول المحور).

كانت الإستراتيجية اليابانية في الإعداد للحرب العالمية القادمة قائمة على افتراض أن المنافسة البحرية ستكون مع البحرية الأمريكية، وأن الحرب البرية ستكون مع قوات الاتحاد السوفيتي، ولذلك خاضت اليابان معركتين مع القوات السوفيتية، هما: معركة (ساخان) عام 1938 وبحيرة (خانخن غول) في 1939م وخسرت اليابان المعركتين، ومنيت فيهما بخسائر فادحة.

يعتقد رايشاور الذي شغل منصب السفير الأمريكي في اليابان في أوائل الستينيات والذي ولد في اليابان عام 1910م وقضى فيها معظم حياته أن الحرب العالمية الثانية لم تبدأ في أوروبا، وإنما ابتدأت في الحرب اليابانية الصينية عام 1937 وليس في الجبهة الأوروبية عام 1939م كما هو شائع. وبداية الصراع لم يكن مخططاً

لهـا لا في طوكيـو ولا في غيرها، وإنما ابتدأ الصـراع مـن حادثة وقعت عندما هاجم جنود صينيون جنوداً يابانيين قرب مدينة بيجين في السابع مـن (يوليو) 1937م. وعندما صـعّدت القيادة الصـينية مـن مطلبها، ورفعت من حدة التوتر بقصف السفن اليابانية في البحر، قررت القيادة اليابانيـة في طوكيـو التي هي تحت سـيطرة العسـكر، أن الحل الوحيد للمشكلة إنما يكون بحرب خاطفة وهجوم كاسح من الشمال والجنوب، وبالفعل استطاعت أن تهزم جيش (تشيانغ كاي شيك) وأن تستولي على العاصـمة (نانكنغ) وتتقدم، فتحتل المدينة الصـناعية المهمة (شـانغهاى)، وعندهـا أخـذت الجنود اليابانيين نشـوة النصـر، فانطلقوا يعيثون في الأرض فسـاداً في موجة من التقتيل واغتصاب النساء. وكذلك سـارعت اليابان إلى إقامة حكومة صورية خاضعة لإرادة الجيش الياباني في العاصمة (نانكنغ)[1].

وكـرد فعل على قيـام القوات اليابانية باحتـلال فيتنام ولاوس وكمبوديا وماليزيا وإندونيسـيا وتايلاند فرضت الحكومة الأمريكية عقوبـات اقتصـادية علـى اليابـان تقضـي بمنـع تصـدير الحديد والبترول إليها، إضـافة إلى تجميد الأمـوال اليابانية المودعة لديها. هذه العقوبات أحدثت ردود فعل معكوسة لدى القادة اليابانيين الذين ازدادوا حماسة للتوسع لضمان الموارد الأولية للصناعة الحربية.

(1) Edwin Reischaur, Japan, The Story of a Nation, 4th ed. Tutle Publishing, Boston 2004, p171-172.

على الرغم من أن معظم القادة السياسيين من المدنيين وعلى رأسهم السيد (فومي مارو) رئيس الوزراء آنذاك كانوا على قناعة تامة بأن اليابان ليس بإمكانها كسب الحرب ضد الولايات المتحدة إلا أن القادة العسكريين وفي مقدمتهم وزير الجيش الجنرال توجو الذي أصبح رئيساً للوزراء في أثناء الحرب كانوا أكثر حماسة واندفاعاً في سبيل الحرب على أساس أن اليابان ليس بإمكانها الاحتفاظ بمكاسبها الإستراتيجية خصوصاً في منشوريا وكوريا دون خوض الحرب. وبالفعل استطاعوا إقناع الإمبراطور (هيروهيتو) بأفكارهم.

الجنرال توجو:

- كان من الضباط الشباب الذين عرف عنهم التفوق.
- عارض المحاولة الانقلابية التي قام بها بعض القادة الشباب.
- كوفئ بترقيته إلى منصب رئيس أركان جيش (كوانغ تنغ) وهو الجيش الياباني في منشوريا، وقاد عمليات الجيش في الحرب اليابانية الصينية الثانية عام 1937.
- شغل منصب وزير الجيش عام 1940م.
- بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ومشاركة اليابان فيها كلفه الإمبراطور برئاسة وزارة الحرب، فشغل منصب رئيس الوزراء

بين 1941م إلى م1944. إضافة إلى ذلك شغل منصب وزير الجيش أو وزير التربية أو الداخلية أو التعليم.

- بعد سقوط (سايبان) اشتدت المعارضة لسياسته في إدارة الحرب، واضطر إلى الاستقالة واعتزال العمل السياسي.
- بعد استسلام اليابان أصدر الجنرال (مكارثر) قائد قوات الاحتلال، قائمة الأربعين مطلوباً وكان الجنرال (توجو) واحداً منهم.
- عندما حاول الجنود الأمريكان القبض عليه حاول الانتحار بإطلاق رصاصة على قلبه، لكن الرصاصة لم تصب القلب.
- حوكم في المحكمة العسكرية الدولية لمجرمي الحرب في طوكيو، وحكم عليه مع سبعة من قادة اليابان بالإعدام. ونفذ الحكم فيه في أحد سجون طوكيو.

كانت الإستراتيجية الحربية اليابانية قائمة على مبدأ المباغتة وتوجيه الضربة الموجعة التي تفقد الخصم توازنه. وهذه الفلسفة نجحت في حروب اليابان مع روسيا والصين وألمانيا في الحرب العالمية الأولى وقبلها. ولذلك استقرت خطة الحرب على توجيه ضربة موجعة ومباغتة للقوات الأمريكية في ميناء (بيرل هاربر) في جزيرة هوائي، التي لم تكن ولاية حينذاك. وبالفعل، فقد استطاع القادة العسكريون إقناع الإمبراطور بخطتهم في الأول من (ديسمبر) 1941م، وتمّ تنفيذ الهجوم في السابع من الشهر (الثامن

بتوقيت اليابان). ولأن القوات الأمريكية كانت تفترض أن اليابان سوف توجه ضربتها في اتجاه القوات الأمريكية الموجودة في الفلبين، وبنت على هذا الافتراض خططها، لذلك جاءت ضربة (بيرل هاربر) في غاية النجاح العسكري بسبب عنصر المباغتة، وحققت جميع أهدافها إلا أنها وفي الوقت نفسه شكلت خطأ إستراتيجياً وتعبوياً بالنسبة إلى اليابان؛ ذلك أنها مكنت القيادة الأمريكية من إقناع الرأي العام الأمريكي المعارض لدخول الحرب بدخولها بدعوى الدفاع عن النفس.

لقد جاء اشتراك أمريكا في الحرب بمنزلة هبة كبيرة للحلفاء لم يكونوا يحلمون بها، وذلك لما تمثله الولايات المتحدة من أبعاد إستراتيجية في الحرب. فهي ليست في أوروبا، ولذلك فهي بعيدة المنال بالنسبة إلى قوات المحور، إضافة إلى أن لدى أمريكا إمكانيات اقتصادية وبشرية وعسكرية ما يجعلها قادرة على ترجيح كفة الحلفاء في الحرب مقابل دول المحور، إضافة إلى موقعها الإستراتيجي على محيطين، هما: الهادي والأطلسي.

جاء رد القوات الأمريكية على الهجوم الياباني في جبهتين: ففي الأولى قامت البحرية الأمريكية بعد إعادة بنائها بسلسلة من المعارك الدامية الغاية منها احتلال جزر المحيط الهادي، وكانت أولى هذه المعارك وأهمها معركة (ميدواي) وهي جزيرة

في منتصف المحيط الهادي بالقرب من جزر (هوائي) وذلك بعد ستة أشهر من الهجوم على (بيرل هاربر)، وفي تلك المعركة تكبدت البحرية اليابانية أكبر خسائرها في الحرب، إذ أغرقت البحرية الأمريكية أربع حاملات طائرات وسفينة حربية يابانية، وفقدت حاملة طائرات واحدة وسفينة حربية. وبدأت بعد ذلك سلسلة من المعارك الحربية لاحتلال الجزر في المحيط الهادي، واستطاعت بعد معارك ضارية أن تحتل جزر المارشال، وفي (يونيو) 1944م نجحت في احتلال الجزيرة المهمة (سايبان) التي تأتي أهميتها في أنها جعلت المدن اليابانية في مرمى الطائرات الأمريكية. ومن هذه الجزيرة قامت الطائرات الأمريكية بحملات قصف متواصل على جميع المدن اليابانية، وقصفتها بالقنابل الحارقة التي أحدثت خراباً كاملاً في جميع المدن اليابانية باستثناء المدن التاريخية، وهي (كيوتو) و(نارا) و(كاماكورا). وفي حملة واحدة في 12 (مارس) عام 1944 قامت الطائرات الأمريكية وفي ليلة واحدة بإحراق مدينة طوكيو العاصمة، وأحدثت فيها خراباً كثيراً، وبلغت أعداد الضحايا في تلك الليلة فقط أكثر من مئة ألف قتيل. وكان من نتائج هذا القصف، إضافة إلى الخسائر في الأرواح والمال أنها شلت حركة الاقتصاد الياباني، ودفعت بمن بقي من السكان إلى ترك المدن والفرار إلى الأرياف؛ هرباً من القصف والأمراض التي بدأت تتفشى والأوضاع الإنسانية المأساوية.

الشكل **4-4**. صورة التقطتها الطائرات الأمريكية للحرائق التي سببها قصف طوكيو ليلة السادس والعشرين من (مايو) **1945**.

الشكل **4-5** طوكيو بعد الحرائق، وتظهر الصورة آثار الدمار الشامل الذي أصاب المدينة والجثث المتفحمة من الحرائق.

أمـا الجبهة الثانيـة فكانت عمليات الجيش الأمريكي بقيادة الجـنرال (مكارثـر) حيث اسـتطاع بعد معارك ضـارية من إعادة احتلال الفلبين بعد أن أجبرته القوات اليابانية على الانسحاب منها عام 1942م. ففي (فبراير) 1945 استعاد الجيش الأمريكي احتلال مدينتي (لوزان) والعاصـمة (مانيلا)، وكان لهذه الانتصـارات في الفلبـين أن مهدت الطريق أمام القـوات الأمريكية للتقدم في اتجاه اليابـان. وبالفعـل، فقد اتحـدت الجبهتـان في هجـوم موحد على جزيرة (أوكيناوا) وذلك في (مارس) من العام نفسه.

وكانـت معركـة ضـارية حشـدت لها اليابـان كل مـا لديها من إمكانـات، ولم تجد بدّاً من اسـتخدام طائراتها في عمليات انتحارية ضد القوات الأمريكية المتقدمة، وسميت هذه العمليات (الكاميكازي) على اسـم الرياح الإعصارية التي قضـت على الأسطول المغولي عند محاولتـه غـزو اليابـان. لم تجدِ هـذه العمليـات نفعاً، واسـتطاعت القـوات الأمريكية أن تحتل (أوكيناوا) بعد أن أنزلت خسـائر كبيرة في الأرواح في اليابانيين، حيث بلغت الخسـائر أكثر من 110 آلاف من العسكر و75 ألفاً من المدنيين وهو ما يعادل ثمن سكان الجزيرة[1].

فقدت اليابان إرادتها على القتال، وصـار واضحاً عند القيادة أنه ليس أمامها إلا خيار الاستسـلام، وبالفعل فقد دعا الإمبراطور

(1) Edwin Reischaur, Japan, The Story of a Nation, 4th ed. Tutle Publishing, Boston 2004, p175-178.

المجلس الأعلى إلى الانعقاد، واتخذ القرار بالطلب إلى الاتحاد السوفيتي التوسط مع الولايات المتحدة. ولأجل ذلك تم الاتصال بالقيادة في موسكو لإيصال رغبة إمبراطور اليابان في التوسط لإنهاء الحرب، لكن ستالين لم يكن في عجلة من الأمر، وهو يرى المنافس الإقليمي للاتحاد السوفيتي يدمر، فلم يوصل الرسالة. والقيادة اليابانية لم تكن تعلم أن ستالين كان قد قدم الوعد للحلفاء في أثناء قمة (يالطة) في شهر (فبراير) 1945 بأن الاتحاد السوفيتي سوف يعلن الحرب على اليابان بعد استسلام ألمانيا[1].

8.4. مؤتمر بوتسدام:

في المدة بين 17 (يوليو) و2 (أغسطس) 1945 عقد في مدينة (بوتسدام) القريبة من العاصمة الألمانية (برلين) مؤتمر بين قادة الحلفاء حضره الرئيس الأمريكي (ترومان) والرئيس الصيني (تشانغ كاي شيك) ورئيس الوزراء البريطاني (تشرشل) الذي خسر الانتخابات العامة في بريطانيا في أثناء حضوره المؤتمر، فغادر المؤتمر الذي انقطع عن الاجتماع، حتى حضور رئيس الوزراء العمالي الجديد (آتلي) إضافة إلى (جوزيف ستالين) رئيس الاتحاد السوفيتي. وأقر المؤتمر القرارات الآتية فيما يتعلق باليابان:

(1) Duus, p-236.

1- إن الوقت قد حان لليابان أن تقرر فيما إذا تريد أن تبقى تحت سيطرة القادة العسكريين الذين أوصلوا اليابان إلى حافة الانهيار بسبب حساباتهم الخاطئة.

2- فيما يأتي نضع الشروط الآتية:

3- يجب إزالة كل سلطات وتأثير القيادات التي خدعت، وأضلت الشعب الياباني في سبيل خوض مغامرة غزو العالم، ونحن نصرّ على إقامة نظام مبني على السلم والعدالة والأمن، وأن هذا سوف يكون مستحيلاً حتى يتم إزالة النزعة العسكرية من العالم.

4- إلى أن يتم التأكد بالدليل القاطع أن الآلة الحربية قد أزيلت، فإن اليابان سوف تبقى تحت احتلال الحلفاء؛ وذلك لضمان تحقيق الفقرات التي تم الاتفاق عليها.

5- السيادة اليابانية يجب أن تكون محصورة على الجزر الأربع (هونشو) و(هوكايدو) و(كيوشو) و(شيكوكو) وبعض الجزر الصغيرة الأخرى حسبما نقرر.

6- القوات المسلحة اليابانية بعد أن يتم نزع سلاحها سوف يسمح لأفرادها بالعودة إلى ممارسة حياة مدنية.

7- على الحكومة اليابانية العمل على إزالة كل العوائق أمام الديمقراطية وحرية التعبير وحرية العبادة.

8- يسمح لليابان بالحفاظ على الصناعات الضرورية لضمان إدامة الاقتصاد ودفع تعويضات الحرب، ويستثنى من ذلك الصناعات التي تمكنها من إعادة التسلح.

9- قوات الحلفاء سوف تنسحب من اليابان عندما يتم تحقيق هذه الشروط، وسوف يتم إقامة حكومة مسالمة بحسب اختيار الشعب الياباني ورغبته.

10- ندعو الحكومة اليابانية لإعلان الاستسلام غير المشروط... وإلا فإنها سوف تعرض اليابان للدمار الشامل.

واضح أن إعلان (بوتسدام) لم يشر بأي شكل من الأشكال إلى أن اليابان معرضة، في حالة عدم الاستجابة لمطالب الحلفاء، للتدمير بالسلاح الذري. مع أنه يقال: إن الرئيس (ترومان) أطلع (جوزيف ستالين) في أثناء المؤتمر على أن الولايات المتحدة قد طورت السلاح النووي، وأنها تنوي استخدامه ضد اليابان لإجبارها على الاستسلام.

9.4. نهاية الحرب وإلقاء القنابل الذرية على هيروشيما وناكازاكي:

في الثامن من (أغسطس) ألقت الولايات المتحدة الأمريكية القنبلة الذرية الأولى على مدينة (هيروشيما). ففي الساعة

الثامنة و15 دقيقة ألقت طائرة أمريكية فوق سماء هيروشيما قنبلة انشطارية مكونة من 60 كجم من اليورانيوم -235. وبعد ذلك بـ 57 ثانية من الهبوط انفجرت القنبلة وعلى ارتفاع 600 متر فوق المدينة، وأحدثت انفجاراً هائلاً يعادل 13 ألف طن من قنابل (تي إن تي).

أحدث الانفجار خسائر كبيرة في الأرواح والمباني، فقدر عدد ضحايا التفجير في لحظاته الأولى أكثر من 70 ألف قتيل بعضهم تبخر من شدة الحرارة التي بلغت نحو مليون درجة مئوية في نقطة الانفجار، إضافة إلى عشرات آلاف الجرحى والمشوهين. وبلغت نسبة الدمار في المباني أكثر من 90% من مباني المدينة. واستمر نزيف الخسائر من الجرحى بعد التفجير، وذلك لغياب العناية الطبية والدمار الذي أصاب البنية التحتية في المدينة والآثار الإشعاعية للتفجير، فبلغ العدد الكلي لضحايا التفجير مع نهاية عام 1945 ما بين 90 إلى 140 ألف قتيل، ووصل العدد إلى نحو 200 ألف مع نهاية 1950. وفي كل سنة تضيف مدينة هيروشيما عدداً من الضحايا ممن يموتون بالأمراض السرطانية التي سببتها القنبلة الذرية الأولى.

الشكل 4-6 مدينة هيروشيما بعد إلقاء القنبلة الذرية عليها، وتظهر الصورة آثار الدمار الكامل الذي أصاب المدينة.

إلقاء القنبلة الذرية الثانية على ناكازاكي:

تُعدّ مدينة (ناكازاكي) بوابة اليابان إلى العالم؛ ذلك أنها أحد أهم الموانى وأقربها إلى شبه الجزيرة الكورية، ولذلك شكلت نقطة اتصال مع العالم الخارجي وحتى قبل أن تنفتح اليابان على العالم، كانت المدينة على صلة بأوروبا، وذلك عن طريق الجزيرة الهولندية الصغيرة الموجودة قبالتها، ولذلك كانت المدينة مركزاً للجمعيات التبشيرية النصرانية منذ ذلك الزمن وفيها بنيت أول كنيسة في اليابان. ومع انفتاح اليابان على العالم الخارجي ازدادت أهمية الميناء، وأصبح من أهم الموانى والمراكز الصناعية لصناع السفن وبالذات الصناعة الحربية، حيث إن المدينة كانت، ولا تزال

مركز شركة ميتسوبيشي للصناعات الثقيلة التي تقوم ببناء السفن وحاملات الطائرات اليابانية.

وفي صباح التاسع من (أغسطس) انطلقت طائرات القوات الجوية الأمريكية وعلى متن واحدة منها قنبلة ذرية مكونة من 4.6 كجم من مادة (البلوتنيوم 239). وكان هدف الرحلة الأول هو مدينة (كوكيورا) وإذا لم تكن الأحوال الجوية ملائمة، فإن الهدف يصبح مدينة (ناكازاكي) ذلك أن صفاء الجو كان شرطاً من شروط العملية؛ لكي تتمكن الطائرات المصاحبة من تصوير التفجير وتقدير آثاره على الأرض. وصلت الطائرات إلى سماء (كوكيورا) وكانت ملبدة بالغيوم، واضطرت إلى مغادرتها إلى الهدف الثاني الذي وصلته نحو الساعة الحادية عشرة، وحصل حينذاك انفراج في سماء المدينة ما جعل قائد الطائرة يقرر أن الأجواء تسمح بإلقاء القنبلة، وبالفعل ففي الساعة 11:01 ألقيت القنبلة التي هبطت مدة 43 ثانية، وانفجرت على ارتفاع 469 متراً فوق سماء المدينة. وقدرت قوة التفجير بما يزيد على 21 ألف طن من (تي إن تي) وهي أكبر بكثير من قوة القنبلة الأولى التي ألقيت على (هيروشيما)، ووصلت درجة الحرارة على الأرض تحت نقطة الانفجار إلى 3900 درجة مئوية، ووصلت سرعة الرياح إلى أكثر من ألف كيلومتر في الساعة.

بلغ عدد ضحايا التفجير في يومه الأول بين 40 إلى 75 ألف قتيل، ومع نهاية السنة وصل عدد الضحايا إلى ما يزيد على 80 ألف قتيل.

لم يكن الدمار الذي أصاب الأرواح والممتلكات كبيراً؛ وذلك لأن المدينة محاطة بالتلال التي جعلت آثار التفجير تكون محدودة مقارنة بما كان يمكن أن تكون عليه لو كانت الأرض مستوية، مثل مدينة (هيروشيما). وهناك روايات تقول: إن عدداً من أهالي هيروشيما نزحوا بعد القصف إلى (ناكازاكي) ليواجهوا القصف النووي ثانية.

في الثامن من (أغسطس) أعلن الاتحاد السوفيتي الحرب على اليابان، وهاجمت قواته الجيش الياباني في منشوريا التي لم تجدِ فيها مقاومة تذكر. كانت نية الاتحاد السوفيتي تقسيم اليابان بين المعسكرين الشرقي والغربي، كما قسمت ألمانيا وكوريا، ولكن الرئيس الأمريكي ترومان عارض تلك الفكرة.

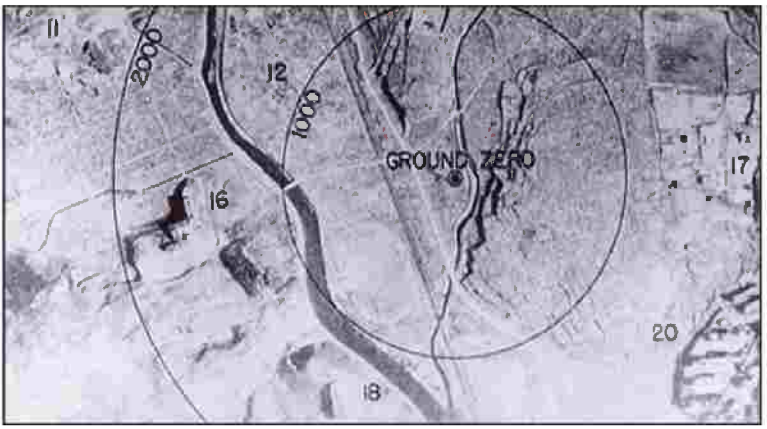

الشكل 7-4 صورة جوية لمدينة (ناكازاكي) قبل التفجير النووي وبعده يوضح الدمار الواسع الذي أحدثه التفجير.

وفي العاشر من (أغسطس) أعلنت اليابان الاستسلام تحت شروط إعلان (بوتسدام) وفي الرابع عشر من الشهر أذاع الإمبراطور (هيروهيتو) بياناً على الأمة أعلن فيه قرار استسلام اليابان للحلفاء، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يسمع فيها اليابانيون صوت الإمبراطور. وفي اليوم نفسه، أعلن الرئيس الأمريكي ترومان تعيين الجنرال (مكارثر) قائداً أعلى لقوات الحلفاء وحاكماً عسكريّاً على اليابان الذي يشتمل على الجزر الأربع (هونشو، هوكايدو، كيوشو، وشيكوكو) وبعض الجزر الصغيرة، أما الباقي فقد تم التعامل معه على الشكل الآتي:

أ- الاتحاد السوفيتي: مُنح كوريا الشمالية وجزيرة (ساخالين) وجزر (الكوريل).

ب- جمهورية الصين: مُنحت (تايوان) و(البسكادور).

ج- الولايات المتحدة: مُنحت كوريا الجنوبية، وجزيرة (أوكيناوا) وممتلكات أخرى.

وفي اليوم الثاني من (سبتمبر) وقعت اليابان وثيقة الاستسلام، وجرت مراسم التوقيع على متن السفينة الحربية الأمريكية (ميزوري) في ميناء طوكيو، ووقعها عن الحلفاء الجنرال (مكارثر) وعن الإمبراطور وزير الخارجية الياباني ورئيس أركان الجيش بالنيابة عن الجيش. وكانت السفينة خالية من كل الرموز باستثناء علمين أمريكيين: أحدهما كان من الأعلام التي كانت بصحبة (الكومودور بيري) عندما فرض على اليابان الانفتاح على العالم وتوقيع الاتفاق الذي فرض عليها آنذاك بقوة المدافع.

وبذلك وضعت الحرب أوزارها بعد سنين عجاف، وأنهت اليابان ملف الحرب العالمية الثانية مخلفة وراءها أكثر من ثلاثة ملايين قتيل في اليابان فقط، ثلثهم من المدنيين وأعداداً كبيرة من الجرحى، وكان معظم اليابانيين بلا ملجأ أو مأوى، حيث إن معظم المدن قد دمرت دماراً كاملاً أو شبه كامل، وفرّ أغلبهم إلى الأرياف هرباً من القصف وجلهم بلا عمل ولا مصدر رزق، فالمزارع والمحاصيل مدمرة؛ لعدم وجود الأسمدة، ولأن الجهود، كل الجهود كانت منصبة من أجل المجهود الحربي.

10.4. جرائم الحرب اليابانية:

تتهم اليابان بارتكاب جرائم حرب في أثناء الحرب العالمية الثانية وقبلها في أثناء احتلالها للمستعمرات. فتتهم اليابان بارتكاب جرائم ضد الإنسانية، مثل عمليات القتل الجماعي للمدنيين، كالمذبحة التي حصلت في (ينكنغ) عام 1937م في الصين التي -بحسب تقارير المحكمة العسكرية الدولية للشرق الأدنى التي حوكم فيها مجرمو الحرب بعد الحرب العالمية الثانية- قتل فيها ما يزيد على 200 ألف قتيل وكذلك مذبحة مانيلا في الفلبين التي قتل فيها ما يزيد على 100 ألف قتيل ومذابح في كوريا وإندونيسيا وغيرها. وتتهم اليابان بارتكاب جرائم أخرى، مثل استخدام الغازات السامة المحرمة دولياً وقتل الأسرى والتعذيب واستخدام الأسرى والرهائن في السخرة وإجبار النساء على البغاء.

ولذلك أصدر الجنرال (مكارثر) أمراً بتشكيل محكمة عسكرية لمحاكمة مجرمي الحرب من القادة اليابانيين، وسُمّيت المحكمة العسكرية الدولية للشرق الأقصى، وتسمّى أحياناً محاكمات طوكيو. وعقدت جلساتها في المدة ما بين الثالث من مارس 1946م إلى الثاني عشر من (نوفمبر) 1948م. ومَثُل أمام المحكمة الآلاف من المسؤولين اليابانيين المتهمين بارتكاب جرائم حرب، وقسموا إلى ثلاث مراتب بحسب نوعية الجرائم المنسوبة إليهم. وقد قرر الجنرال (مكارثر)

إعفـاء الإمبراطور والعائلة المالكة من المسـؤولية على الرغم من أن هناك أصواتاً، بعضها من داخل العائلة المالكة مثل الأمير (ميكاسا) شـقيق الإمبراطور كانت تطالب بمحاسـبة الإمبراطور وإحالته إلى المحكمة؛ لأنه المسـؤول الأول، وبذلك يجب أن يتحمل تبعة قراراته، كما تقتضـي العـادات والتقاليد اليابانية، لكـن (مكارثر) رأى غير ذلك، وتمّـت إدانة نحو خمسـين من المسـؤولين السـابقين بجرائم حرب، ولكنهم لم يحاكموا عليها، ومنهم (نوبوسـوكي كيشي) وزير الصـناعة والتجارة في أثناء الحرب الذي كان مسؤولاً عن التصنيع العسـكري، لكن هـؤلاء لم يمثلوا أمـام المحكمة، حتى إن (كيشـي) أصبح رئيساً لوزراء اليابان فيما بعد، وسيؤدي دوراً مهمّاً في تشكيل مستقبل اليابان، كما سيأتي فيما بعد.

أتمـت المحكمة محاكمة 25 متهماً بارتكاب جرائم من الدرجة الأولى، وحكم على سبعة منهم بالإعدام، منهم الجنرال توجو قائد الجيش الياباني في منشـوريا ورئيس وزراء اليابان في أثناء الحرب ووزير الخارجية ورئيس أركان الجيش، ونفذ الحكم فيهم في سجن طوكيو، ومات اثنان في أثنـاء المحاكمة، وحكم على الباقين بالمؤبد، وأفرج عنهم بعد استقلال اليابان.